الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

السبت 7 كانون الأول 2024
العدد 5374 السنة التاسعة عشرة
Samedi 7 Décembre 2024 nº 5374 19ème année

24 صفحة
50000 ليرة

كلمات
الفلسطيني في «وجوهه» الكثيرة



لجنة وقف إطلاق النار تراقب الخروقات الإسرائيلية... جواً!

عيون اللبنانيين على الحدود الشرقية

2

سوريا

الرصاص أسرع من التفاوض

14 - 10

(أ ف ب)

تقرير

نواب يخشون عودة الصور الإرهابية ويطلبون إقفال المعابر

الجيش يعزّز انتشاره على الحدود ومراقبة النازحين

في خضمّ انهيار المدن الكبرى، ودخول الفصائل المسلحة في سوريا إلى حماة بعدَ حلب، تتركّز الأنظار على حمص، ويسود انطباع في بيروت بأن مصير لبنان لن يكون معزولاً عن المتغيّرات في سوريا بارتداداتها الأكيدة على الواقع اللبناني ومسار وقف النار جنوباً. وقد فرضَ عامل التوقيت ضغطاً كبيراً على المشهد الداخلي، إذ أتَت هذه الأحداث في موازاة مرحلة ما بعد وقف إطلاق النار وتفعيل عمل لجنة المراقبة لقرار يبدو قابلاً للانفراط في أي لحظة وبداية استعداد الجيش اللبناني الدخول إلى جنوب الليطاني، إضافة إلى إعادة تحريك ملف الانتخابات وسطَ كباش سياسي يسبق إنجاز الاستحقاق في جلسة 9 كانون الثاني.

أمام المشهد السوري، يبدو لبنان بمختلف مستوياته متهيّباً اللحظة وهو يبدو غير قادر على تحييد نفسه، رغمَ النداءات بضرورة الابتعاد عن كرة النار، من خلال

> **التيار الوطني يؤكّد على دور القوى الأمنية الرسمية ومساعدة الأهالي في مواجهة الإرهاب**

القيام بإجراءات احترازية تمنع تكرار السيناريو الذي شهده لبنان بعد عام 2011، ولا سيما لجهة النزوح. أما على الصعيد السياسي ورغمَ أن أعداء محور المقاومة في لبنان يعتبرون أن ما يحصل في سوريا هو فرصة لاستعادة التوازن الداخلي بضغط سياسي دولي – إقليمي يتبع الحرب العسكرية على حزب الله، فإن هؤلاء أنفسهم يشعرون في قرارة أنفسهم بأنهم لن يكونوا بمنأى على الخطر الذي يطل برأسه من الحدود الشمالية. وعليه بدأت الأسئلة تتوالى حول قدرة لبنان على التعامل مع هذه التطورات وهل بإمكان الجيش وحده التصدي لها في حال تقدّمت الفصائل المسلحة باتجاه الحدود مع لبنان ودخولها إلى مناطق لبنانية يُمكن أن تجد فيها بيئة حاضنة لها، وكيف سيتَعاطى حزب الله في حال عدم قدرة الجيش على الصمود.

على الأرض يبدو الجيش مترقّباً لما سيحصل خلال الساعات المقبلة للتأكد من وُجهة المسلحين، على اعتبار أنّ «الخطر عليه سيزداد في حال تقدّمت هذه الفصائل باتّجاه الساحل السوري لتُسيطر على مناطق متاخمة للحدود اللبنانيّة».

وإزاء هذه التطوّرات، قام الجيش برفع إجراءاته على طول المعابر غير الشرعيّة عند السلسلة الشرقيّة، كما تمّ تعزيز الأفواج البريّة المنتشرة على طول الحدود مع سوريا، عبر زيادة العناصر وتزويدهم بالمزيد من الأسلحة. ولفتت مصادر أمنيّة إلى أنّ هذا التعزيز ركّز على منطقتي الهرمل وعكّار، خصوصاً أنّ الجيش يعتبر أن القلمون والنبك ومحيطهما هي من أشد المناطق خطورة لناحية تسرّب المسلّحين، خصوصاً أنّه سبق للمسلحين أن دخلوا منها بعد عام 2011. كما عمد الجيش إلى تشديد إجراءاته في المراكز الأمنية الحدودية، وتمّ استقدام تعزيزات من فوج المجوقل ومغاوير البحر إلى ثكنة شدرا مقابل تكثيف الدوريات التي يقوم بها فوج الحدود البري الأول على طول المنطقة الحدودية.

ويؤكد العميد المتقاعد فادي داوود الذي قاد معركة «فجر الجرود» في جرود بعلبك، أنّه «علينا انتظار ما تحمله الساعات المقبلة لناحية تقدّم المسلحين ووجهتهم، إن كان باتّجاه السّاحل السوري للانقضاض على رأس النظام السوري، وحيث إن القطع البحريّة تقع تحت حماية القوّات الروسيّة والاشتباك معها أم سيتم تحييد الروس ليتّجهوا باتجاه القصير، حيث ستتم مواجهة حزب الله والحشد الشعبي».

ويعتقد داوود بأنّ سقوط حمص يعني قطع طريق تموين الأسلحة الآتي من العراق إلى سوريا ومنها إلى لبنان. وهو يستبعد انتقال الفصائل السوريّة إلى الدّاخل اللبناني باعتبار أنّ هذا الأمر «يحتاج إلى توازنات وتفاهمات إقليمية وغربية»، ودخولها يعني أن يتصدّى لها حزب الله أو الجيش اللبناني الذي سيكون عليه نقل


(أ ف ب)

الألوية التي تتضمن نحو 10 آلاف عنصر من الجنوب لحماية الحدود مع فلسطين المحتلة، نحو الحدود السوريّة.

الحدود وعرسال

من جانبه، قال محافظ بعلبك - الهرمل بشير خضر لـ«الأخبار» إن المنطقة «لم تشهد حتى الساعة أي حركة عبور من سوريا باتجاه لبنان، والجيش اللبناني موجود في المنطقة وعلى الحدود. وبالتالي لن يكون سهلاً على أي فصيل مسلّح التحرك. أما في عرسال، فالوضع تبدّل منذ معركة فجر الجرود، لأن الجيش انتشر بشكل حازم، كما جرى التخلص من المجموعات الإرهابية هناك. لذلك لا يزال الوضع مضبوطاً اليوم».

وفي عرسال، التي شهدت منذ سنواتٍ دخول التنظيمات الإرهابيّة إلى جرود المنطقة، وسيطرتها على أحياء داخلية فيها، تبدو المنطقة هادئة، على حد تعبير المصادر الأمنيّة التي تُشير إلى أنّها تُراقب كل الأمور، بما فيها ما يتم تناقله على وسائل التّواصل الاجتماعي، إضافةً إلى خُطب الجمعة في مساجد عرسال وسائر المناطق اللبنانيّة.

ويؤكّد نائب المنطقة ملحم الحجيري أنّ «الوضع الأمني فيها مستتبّ، ولم نلحظ أي تحرّك مُريب خلال الفترة الأخيرة»، مشدّداً على أن «نوّاب المنطقة يُتابعون التطوّرات في سوريا، وينسّقون مع الأجهزة الأمنيّة للتأكيد على ضرورة بسط سيطرتها على المناطق الحدوديّة، ونحن تحت هذا السقف».

أمّا عن أوضاع النّازحين السوريين، فيشير الحجيري إلى وجود نحو 90 ألف نازح في مخيّمات عرسال، لافتاً إلى أنّ هذا الرقم ازداد نتيجة الاعتداءات الإسرائيليّة خلال الشهرين الماضيين، ونزوح أكثر من ألف و200 عائلة سوريّة إلى عرسال في الفترة الأخيرة. ومع ذلك، يؤكّد أنّ وضع المخيمات حتّى الساعة «مريح، والأجهزة الأمنية تراقبها عن كثب».

نواب التيار: الهواجس قائمة

من جهتها قالت نائبة رئيس التيار الوطني الحر للشؤون السياسية مارتين نجم إن «ما يعنينا هو السرعة التي تتدهور فيها الأمور والتي توحي بأن ثمة مشروعاً تقسيمياً يهدف إلى تغيير وجه سوريا. وهنا يفترض الحرص على ألا تنتقل هذه العدوى إلى لبنان، لذلك ما نفعله اليوم هو الانفتاح على كل الأطراف من أجل بناء دولة يسود فيها التوافق ونتمكّن عبرها من أن نحمي أنفسنا ووحدتنا خلافاً لما يمكن أن يحصل إن قرّر فريق معين استخدام ورقة النازحين والخلايا النائمة في الداخل اللبناني بالتوازي مع الأحداث السورية».

وأضافت أن «مسؤولية ضبط الحدود هي عند الجيش والقوى الأمنية والموضوع ليس صعباً. ويجب العمل لإحباط كل محاولة لفتح الحدود وإدخال الإرهابيين، خصوصاً أننا لم نتعافَ من الإرهاب الإسرائيلي بعد ولا نزال نتعرّض للاعتداءات بشكل يومي».

وقال نائب التيار عن دائرة بعلبك-الهرمل سامر التوم: «نحن انكوينا من الجماعات التكفيرية كداعش ونصرة وعايشنا الممارسات الإرهابية ضد الجيش اللبناني حتى إن الحركات التكفيرية وصلت إلى القاع، عندما قام 8 انتحاريين بتفجير أنفسهم. وهذا ما يدفعنا إلى القلق عندما نسمع عن تلك الجماعات، حيث تعود المشاهد تلقائياً إلينا».

وأضاف التوم أن الناس «يتكلون أولاً على الجيش ليكون السدّ المنيع، علماً أنه في فترة 2011-2017 كان ثمة تصدٍّ من الجيش وشباب حزب الله لهم فضلاً عن قيام شباب القرى الحدودية بمناوبات دائمة خوفاً من أي تسلل أو هجوم. أما اليوم، فما زال الوضع ضبابياً ونتمنى أن يكون الجيش ضابطاً للحدود، إنما في حال تطور الوضع ولم يكن ثمة وجود للجيش بقوة، فسنعود حكماً إلى التجربة السابقة بتولي الشباب عملية الرصد والدفاع عن بلداتهم. ويهمّني التشديد هنا على أهمية الوحدة الوطنية وألّا ينجرّ بعض اللبنانيين وراء أفكار بعيدة عن ثقافتنا بما يتسبب بتأجيج النعرات المذهبية، ما سيرتد علينا بالسوء».

أما نائب التيار عن دائرة عكار جيمي جبور فقال إن «الرهان هو على الجيش والدولة، ولن ندخل في رهانات حول من يحمي من، لأن كل التجارب أثبتت أن التعويل يجب أن يكون على جيشنا فقط الذي يفترض أن ينفّذ انتشاراً على طول الحدود. وكنائب عن الشمال نسعى إلى التنسيق مع الجيش والقوى الأمنية لتمتين الحدود وتشديد الرقابة».

من جهته قال النائب في الحزب الاشتراكي بلال عبدالله إنه «يوجد تسليم شامل للجيش اللبناني، ولسنا مستعدّين لأن نكرر التجارب والسيناريوات السابقة التي كانت مكلفة للجميع، علماً أن الاتفاق حول تطبيق القرار 1701 يشمل الحدود اللبنانية – السورية، والأمر لا يتعلق بالسلاح فقط، بل بعمليات تهريب البضائع والأشخاص»، وأضاف: «ما يمكن فعله هو تحصين أنفسنا بالدولة والجيش مع الحرص على عدم تقديم أي خدمات مجانية لأي طرف».

(الأخبار)

تقرير

الحدود الشمالية «مُشرّعة» ومخاوف من معركة القصير


(أ ف ب)

نجلة حمود

مع تسارع وتيرة الأحداث الأمنية في الداخل السوري وتناقل الأخبار والفيديوهات التي توثّق سيطرة الفصائل المسلحة على حلب وحماه وصولاً إلى ريف حمص، ارتفع منسوب القلق في القرى والبلدات الحدودية الملاصقة للشريط الحدودي مع سوريا. وازداد الخوف مع انسحاب الجيش السوري، تحديداً الفرقة الرابعة المولجة حماية الحدود وتسليمها لفرقة «الهجانة» مع تواجد عناصر قليلين غير قادرين على ضبط الحدود لجهة منطقتي الدريب الأوسط والدريب الأعلى وصولاً إلى جبل أكروم، ما أعاد إلى الأذهان صورة الفوضى العارمة التي شهدتها المنطقة الحدودية الممتدة على مسافة تزيد عن 25 كلم في عام 2011، عقب سيطرة «جبهة النصرة»، و«الجيش الحر» على عدد من البلدات الحدودية.

ولم يمر وقت طويل حتى عادت هذه الفوضى لتطلّ برأسها. فبعدَ إعلان الأمن العام اللبناني عن إغلاق المعابر الرسمية الشرعية في الشمال حتى إشعار آخر، واستهداف العدو الصهيوني معبر العريضة الحدودي ليل أمس الأول بثلاث غارات، عقب افتتاحه قبل أيام من قبل وزير الأشغال العامة والنقل علي حمية في محاولة لتسهيل عودة اللبنانيين الذين نزحوا إلى سوريا أثناء العدوان الإسرائيلي على لبنان، وخروجه من الخدمة لينضم إلى معبري «العبودية» و«جسر القمار» في وادي خالد واللذيْن كانت المقاتلات الإسرائيلية قد استهدفتهما في وقت سابق، بدأ الفلتان عند الحدود والمعابر الترابية غير الشرعية التي تربط لبنان وسوريا، وذلك لجهة السماح للمئات بالعبور عند مقلبي النهر وبشكل طبيعي من دون أي إشكالات، حيث انتعشت حركة السماسرة والمهرّبين الذين عمدوا إلى تسهيل نقل العائلات السورية في اتجاه الداخل اللبناني. وكذلك الحال بالنسبة إلى حركة العبور في منطقة جبل أكروم حيث يعبرون حاجز السهلة من دون أي عقبات.

وفي هذا السياق، أكّدت مصادر مطّلعة لـ«الأخبار»، أن «العديد من المهربين يعمدون إلى تمرير الركاب ليلاً عبر الحواجز الأمنية وذلك عبر كلمة السر المعهودة (خط عسكري)»، وهذه الخدمة تكون كلفتها مرتفعة أضعافاً مضاعفة على الركاب، بخلاف أولئك الذين يعبرون سيراً على الأقدام. وعن وجهة الوافدين من سوريا، تؤكد المصادر أن «معظمهم كانوا في اليومين الماضيين في حماة، ومع اقتراب الفصائل المسلحة من حمص شهدت المنطقة عبور عائلات من طوائف معينة من مدينة حمص إلى الداخل اللبناني، وهؤلاء عادة تكون وجهتهم جبل محسن في طرابلس».

وتتوقع المصادر ارتفاع أعداد النازحين في الساعات المقبلة وهم بغالبيتهم من اللبنانيين المقيمين في الريف الغربي لمحافظة حمص، وتحديداً في بلدات: الجوبانية، دبين، الفتاية، الناعم، وهؤلاء تربطهم علاقات وطيدة مع قرى وبلدات وادي خالد. كما تتوقع نزوح أعداد كبيرة من قاطني بلدات ريف القصير مع تواتر الأخبار عن اقتراب المسلحين من هذه البلدات التي يُرجّح أن تشهد معارك عنيفة بسبب التداخل الطائفي والمذهبي، ما يحتّم على هؤلاء النزوح في اتجاه البقاع الشمالي.

الحدث السوري: قلق لبناني أمني وسياسي وطائفي أيضاً

لم تكذّب الأخبار نفسها. وكما في كل حرب كبرى مع إسرائيل، فإن الفتنة تتأهّب لتطلّ برأسها في اليوم التالي. وما لم يكن ممكناً تحقيقه خلال العدوان على لبنان، صار متاحاً الآن العمل عليه بقوة ولو جاء من خارج الحدود.

المعطيات صارت شبه معلنة، لجهة أن مشروع اجتياح حلب وبقية محافظة إدلب حتى حدود حماة الشمالية، كان جاهزاً للتنفيذ في تشرين الأول الماضي. والقرار اتخذته السلطات التركية منتصف الصيف الماضي، عندما طلبت أنقرة من الفصائل المسلحة السورية الحليفة لها، انتظار نتائج ما سمّته تركيا المحاولة الأخيرة للاتفاق مع الرئيس بشار الأسد. وبعد فشل آخر محاولات روسيا والعراق، استعجلت الفصائل المسلحة بدء المواجهة، لكن أنقرة فضّلت تجميد العمليات التي كانت جاهزة بداية تشرين الأول الماضي، بسبب توسّع الحرب ضد لبنان. لكن التحضيرات للحملة العسكرية تكثفت من قبل المسلحين، وهم أجبروا على آليات تنسيق في ما بينهم، بعدما كان عدم التجانس يسود صفوفهم، وسط انقسام بين القوى المنضوية تحت عباءة هيئة تحرير الشام بقيادة أبو محمد الجولاني (أحمد الشرع)، وتلك المنضوية في إطار الجيش الوطني. وهو انقسام قام أساساً بعد نجاح النظام وحلفائه في السيطرة على مساحات كبيرة من سوريا. وصار هؤلاء يتبادلون الاتهامات حول من

> **يعتقد حلفاء أميركا أن بمقدورهم الاستفادة من إسقاط نظام الأسد لأجل محاصرة حزب الله في لبنان**

يتحمل مسؤولية الإخفاق.

الأمر الآخر، الذي كان متداولاً ولو على نطاق ضيق، يتعلق بالتركيبات العسكرية التي أرادت تركيا أن لا تكون موحدة بالكامل، لكنها كانت تصرّ على مرجعية واحدة ولو غير معلنة. وقد مارست أنقرة الضغوط الكبيرة على الفصائل لأجل ترتيبات معينة في مناطق سيطرتها، وخصوصاً بعد قرار العودة الإلزامية لنحو مليون نازح سوري من الأراضي التركية. وقد عمل الأتراك على تقديم مساعدات في البنى التحتية، وتوسيع نطاق العمل التجاري في مناطق سيطرة المعارضة، بالتوازي مع تأهيل وتدريب نحو 25 ألف مقاتل من جميع الفصائل. وفي النهاية، ألزم الأتراك خصوم هيئة تحرير الشام بعدم الذهاب بعيداً في التوتر، فيما كان الجميع يوافق تركيا على أن فشل الوساطات مع الأسد يجب أن يعقبه السماح لهم بعملية عسكرية.

والذي حصل في 27 تشرين الماضي، أي يوم إعلان وقف إطلاق النار في لبنان، كان متوقعاً على شكل عملية واسعة ومكثفة، وكانت الفصائل المسلحة تملك من المعطيات الأمنية والعسكرية ما يشجعها على القيام بالهجوم، لكن المسلحين فوجئوا بأن الجيش السوري ليس جاهزاً لمواجهة جدية، ولم يبدِ أي مقاومة تذكر، فيما كانت التعليمات التركية صارمة لجهة تقديم صورة مختلفة عن تلك التي قامت في المواجهات السابقة، وهو ما فرض وجود قيادات أمنية وعسكرية تركية تشرف على الكثبر من الخطوات الميدانية.

الأكيد أيضاً أن الفصائل نفسها ما كانت تتوقع أن تصل الى شمال حماة بهذه السهولة، ما دفعها الى تعديل الخطط والسير في اتجاه قضم المزيد من المناطق، وصولاً الى مشارف حمص، مع برنامج توسّع شرقي باتجاه البادية، وجنوبي باتجاه دمشق، وآخر غربي باتجاه الحدود مع لبنان. وتبدو عقدة حمص كمفتاح للمرحلة المقبلة، ولا سيما مع تبدل الأهداف السياسية ربطاً بالتطورات الميدانية. وبينما كان المعارضون يتحدثون عن هدف جرّ النظام مرغماً الى مفاوضات سياسية، فهم يتحدثون اليوم عن فرصة لتغيير شامل، يقوم على إطاحة الرئيس الاسد، والبحث مع قوى سورية أخرى في تشكيل حكم جديد.

لكن، هل الأمر رهن هذه القوى فقط؟

إعلامياً، يبدو الأمر وكأن ما يجري منفصل عن التطورات الجارية بفعل الحرب الإسرائيلية على لبنان وفلسطين. لكن تفاصيله، وخصوصاً التطورات المتوقعة في مناطق الجنوب، من القنيطرة ودرعا والسويداء، تكشف العلاقة الوثيقة بين ما تريده إسرائيل وما يجري في بقية المناطق. حتى معارضة الأردن لحسم عسكري يطيح الدولة السورية لمصلحة المسلحين، لم تعد عائقاً أمام مشروع محاصرة النظام في دمشق من جهة، وعزل الساحل السوري عن بقية البلاد من جهة ثانية، مع العلم أن تحقيق هذا الهدف يتطلب معارك جدية قد تحصل، في ريف حمص الغربي وعلى الحدود مع لبنان، إضافة الى المعارك في جنوب العاصمة السورية. وهنا، يعود العامل الإسرائيلي ليطلّ برأسه، حيث يعرب العدوّ صراحة عن أنه معنيّ، أولاً وأخيراً، بمصير النفوذ العسكري والأمني والتسليحي لإيران وحزب الله في سوريا. وقد باشر العدوّ دوره في القصف الذي سبق العملية العسكرية في حلب، وهو القصف الذي يقول العدوّ إنه سيقوم به ضد حلفاء الأسد من إيران وحزب الله، الأمر الذي يمثّل تحدّياً ميدانياً أمام حلفاء دمشق، إلا في حالة توفر مظلة حماية جوية تبقى رهن القرار الروسي.

الحدث السوري الاستثنائي فرض نفسه بقوة على جدول الأعمال السياسي في لبنان. فقد عاد الانقسام ليطلّ برأسه على شكل حسابات ورهانات، إذ يعتقد حلفاء أميركا أن بمقدورهم الاستفادة من إسقاط نظام الأسد لأجل محاصرة حزب الله في لبنان. لكن القلق لا يقتصر هنا على البعد السياسي، بل يأخذ بعداً آخر فيه جانب أمني يقلق الجيش اللبناني الذي لا يعرف كيف يتصرّف إزاء احتمال عودة التهديد من الحدود الشرقية، كما لا يمكنه أن يتصرّف مع حزب الله إن قرر الأخير التصدّي لأيّ محاولة للاقتراب، ليس من الحدود مع لبنان بل مع العمق الأمني الذي يصل الى مسافات جدية على طول الحدود مع سوريا، ابتداءً من عكار، وصولاً الى جنوب المصنع. كما يوجد عنصر قلق آخر يتعلق بالحساسية الموجودة لدى مجموعات من لون طائفي تخشى أن تتعرض للاضطهاد على أيدي المسلحين.

وإذا كان لبنان منشغلاً في مساعي إقناع إسرائيل بالتزام اتفاق وقف إطلاق النار، فإن كرة النار السورية التي ألقيت في حضن الجيش سوف تفرض نفسها بنداً إلزامياً على جميع اللاعبين. ولن يكون بمقدور أحد تقديم التزامات جدية في ما خصّ الجنوب، بينما يكون الخطر داهماً ووشيكاً من الشرق. وهو ما يحتاج الى أجوبة توفرها القيادات السياسية على أنواعها، الى جانب ما هو مفترض من جانب الرعاة الدوليين.

(الأخبار)

تقرير

من سيموّل إعادة الإعمار؟

محمد وهبة

ما سيناقشه مجلس الوزراء، اليوم، بشأن إعادة الإعمار، ليس سوى الجزء الإجرائي الذي يتعلق بتوزيع المهام، بعيداً من مسألة أساسية مثل التمويل. فحتى الآن، ليس واضحاً لدى أيّ جهة رسمية في لبنان أن هناك تمويلاً ما آتياً لإعادة الإعمار من أشقاء أو غيرهم، باستثناء ما ستضخّه الجمهورية الإسلامية في إيران من خلال حزب الله. لذا، الآن ثمة تركيز على إطلاق مسح الأضرار رسمياً بما يوازي العملية التي باشرت فيها وحدات حزب الله المدنية في مطلع هذا الأسبوع، وأيضاً هناك تركيز على آليات التلزيم في مجال إزالة الردم وإعمار البنى التحتية المدمّرة ومدى مطابقة القوانين للعقود الرضائية، فضلاً عن نقاش في أسس التعويضات.

في زيارته الأخيرة للبنان ولقائه رئيس الحكومة نجيب ميقاتي، عرض مستشار المرشد الأعلى الإيراني، علي لاريجاني على ميقاتي أن تشارك إيران بشكل رسمي في تمويل إعادة الإعمار. وقد أجابه ميقاتي، بأن إيران على العقوبات الدولية وأنه لا يمكن قبول هذه المشاركة إلا إذا أتت عن طريق المؤسّسات الدولية، مشيراً إلى أنه اتفق مع البنك الدولي على إنشاء صندوق لهذه الغاية تحت إدارة الصندوق وإشرافه. في الواقع، لم يفهم الكثير من ردّة فعل ميقاتي، إلا بوصفها تأتي في السياق الذي اعتادت السلطة على سلوكه في التعامل مع إيران، أي أنها ترفض العروض الإيرانية الرسمية بحجّة المجتمع الدولي. في المقابل، تصرّ إيران على أن أيّ مبادرة يجب أن تأتي أولاً عبر القنوات الرسمية بين البلدين، وإذا تعذّر فإنها تتخذ من حزب الله قناة للإيفاء بوعودها. وبحسب مصادر مطّلعة، فإن نقاشات جانبية أجريت مع العديد من الدول مثل السعودية والكويت والعراق وقطر، إلا أنها لم تصل إلى نتيجة واضحة بعد. فهناك إيجابية مفقودة من السعودية والكويت، رغم أن الأخيرة بدأت تظهر نوعاً من اللين تجاه الأمر، أما في قطر فهناك وعود فقط من دون أيّ التزامات فعلية، ومن العراق اقترحت فكرة أثارت جدلاً واسعاً تقضي بتجميع 600 مليون دولار من رواتب الموظفين العاملين في القطاع العام على عدّة أشهر لتحويلها إلى لبنان للمشاركة في إعادة الإعمار.

إذاً، ما الذي سيناقشه مجلس الوزراء اليوم؟ عملياً، سيناقش المجلس ما سبق أن نوقش في الاجتماع الذي ترأسه ميقاتي يوم الاثنين الماضي، بحضور رؤساء مجلس الجنوب والهيئة العليا للإغاثة ومجلس الإنماء والإعمار ووزارة الأشغال والنائبين حسن فضل الله وعلي حسن خليل. في هذا الاجتماع، اتفق على تحديد آليات العمل التمهيدية لإعادة الإعمار. كذلك اتفق على توزيع المهام بين مجلس الجنوب ضمن النطاق الذي يعمل فيه، والهيئة العليا للإغاثة ضمن النطاق الذي تعمل فيه، وتلزيم إزالة الردم وفق عقود رضائية، بما أن قانون الشراء العام يسمح بهذا الأمر في حالة حصول كارثة. أيضاً، نوقشت أسس التعويض الذي سيمنح لكل متضرّر ولا سيما لأصحاب الوحدات السكنية، ونوقشت مسألة ردم البحر في الأوزاعي بركام الضاحية، وعدد الوحدات المدمّرة وسواها من التفاصيل، لكن المسألة الأهم لم تناقش انطلاقاً من غياب معطيات واضحة بشأنها. ورغم أنه تردّد بأن لدى الحكومة قدرة على إنفاق 1,5 مليون دولار على إعمار البنى التحتية، على أن يتم تمويل المبلغ مما تدخّره في حسابها لدى مصرف لبنان ومن إعادة توجيه بعض المساعدات المالية مع البنك الدولي، إلا أن أكثر من وزير في الحكومة قال لـ«الأخبار» إن المسألة ليست بهذه السهولة، إذ إن المبلغ الذي يمكن الحكومة أن تنفقه ليس كبيراً كما يعتقد ربطاً بحجم ما هو متوافر وبما سينتجه من تداعيات نقدية، لكن الثابت أن الحكومة سيكون عليها التزام مرتبط بإعمار البنى التحتية في الكهرباء والمياه والاتصالات. أما بشأن إعادة توجيه القروض والمساعدات الدولية، ولا سيما من البنك الدولي، فإن بعض القروض تتضمن بنداً يتيح اقتطاع 10% تحت مسمّى «المساعدات الطارئة»، وهذه مبالغ لا يمكن أن تزيد عن 25 مليون دولار.


(هيثم الموسوي)

> ردم البحر في الأوزاعي يناقش مع خيار مشروع توسيع الكوستا برافا الذي يحتاج إلى 740 ألف طن من الردم

ما سيناقش فعلياً، هو ترتيب الأولويات اللوجستية. البدء بمسح الأضرار هو أولوية، وإلى جانبها البدء بإزالة الردم، ثم إطلاق مرحلة التعويض وإعادة الإعمار. المباشرة بمسح الأضرار في بيروت والبقاع مسألة باتت متاحة، إنما هي ليست متاحة في كل الجنوب بعد في انتظار انسحاب العدو من كل الأراضي التي دخلها أو سيطر عليها بالنار. لكن مسألة إزالة الردم تعدّ حيوية جداً، لأن الإزالة تعني «تنظيف» المساحات من الركام الذي يتراكم في العقارات الخاصة، ممتداً إلى الأملاك العامة. والإزالة تعني أنه يجب تحديد من سيقوم بالإزالة، وما سيقوم به، وأين سيوضع الناتج. عملية التلزيم ستكون بالتراضي، وستنفذها كل جهة ضمن نطاقها، أي مجلس الجنوب والهيئة العليا للإغاثة، لكن بأيّ كلفة؟ هل سيسمح للملتزم بأن يحصل على الناتج من الردم وبيعه؟ فحتى الآن، يقدّر أن في الضاحية وبيروت ردماً بحجم إجمالي يبلغ مليوني متر مكعب وفيه أطنان من الحديد والألمنيوم والنحاس. يقال إن هناك عروضاً وردت إلى رئيس الحكومة نجيب ميقاتي من شركات أجنبية مهتمة بإزالة الردم مجاناً مقابل الحصول على الناتج بعد نقله وفرزه وطحنه. وعلى افتراض أنه تم الاتفاق على إجراءات التلزيم، فإلى أين سيتم نقل الردم؟ هل سيتم ردم بحر الأوزاعي فيه كما ترغب بعض فعاليات المنطقة، أم أنه سينقل إلى مكبّ الكوستا برافا الذي يحتاج من أجل توسعته، وبقرار من مجلس الوزراء، إلى 740 ألف طن من الردم؟ النقاش بهذا الشأن يتعلق بسؤال حول الجهة التي ستؤول إليها العقارات المردومة.

سيجري نقاش كل هذا الأمر من دون أي فكرة عن تمويل مشروع إعادة الإعمار، وما ستكون حصّة كل طرف فيه من الدولة إلى الدول المانحة وإيران وحزب الله. ستناقش مسألة التعويضات للمساكن المتضرّرة، لكن أيضاً بلا أي افق، باستثناء ما أعلنه حزب الله أخيراً من أنه سيغطي الفروقات. ثمة مسألة أساسية تتعلق بإدارة مشروع إعادة الإعمار، فهل سيكون هناك نقاش في مشاريع إعادة إعمار تعيد إنتاج مشروع وعد لإعمار الضاحية بعد عدوان 2006، أم سيظهر نموذج جديد من إدارة المشاريع؟ أم أن الدولة غائبة عن نقاش كهذا أصلاً؟ الوقت يدهم الجميع، فالتقديرات أن إعادة الإعمار مشروع متوسط المدى، وكلما اقترن بتمويل له شروط سياسية كما يتوقع، وفوقها آليات روتينية وبيروقراطية أو ذات رقابة دولية، سيمتد المشروع أكثر في الزمن.

تقرير

40% زيادة في طلب العلاج النفسي بعد الحرب

زينب حمّود

لحظة إعلان وقف إطلاق النار، أطلق الناجون من الحرب العنان لمشاعر الغضب والحزن المكبوتة، وسمحوا لأنفسهم بـ«فلاش باك»، لفهم ما الذي مرّوا به من فقدان وخسائر في الأرواح والممتلكات وقلق دائم، بعدما ضبطوا أعصابهم طوال 66 يوماً من أجل الحفاظ على القوة للاستمرار. ومعها بدأت تظهر آثار الحرب النفسية، من نوم متقطع، وكوابيس، ومشاكل في الأكل، وقلق، وتوتر، وموجات ذعر، وأفكار كارثية، واستعادة ما حصل بطريقة ضاغطة. وانعكست الآثار النفسية أوجاعاً في الجسد، مثل آلام في المعدة وتقرحات، ومشاكل ضغط وسكري وغيرها. فلجأوا إلى المعالجين النفسيين للاستشارة إن كان ما يحصل معهم أمراً طبيعياً، أو قرروا البدء بالعلاج من خلال المهدئات وأدوية الأمراض العصبية. ويتحدث أحد الصيادلة عن «زيادة في استخدام أدوية الاكتئاب بعد الحرب، تصل إلى حدّ الإدمان عند البعض وخاصة أنّ وزارة الصحة لا تفرض وصفات طبية لبيعها».

يقدّر الطبيب النفسي باسكال رعد الزيادة في طلب العلاج النفسي جراء الحرب الهمجية على لبنان «بنسبة 40% بالحد الأدنى، ولا تنحصر بين أبناء المناطق التي تعرضت للقصف، بل تطاول الجميع على امتداد الأراضي اللبنانية ممّن تأثروا بأصوات المسيّرات والقصف، والأخبار التي شاهدوها، وبتداعيات الحرب، والقلق من توسعها وامتدادها لفترة زمنية طويلة، وخاصة أنها كانت حرباً مفتوحة الأمد، ما يعني التحضّر الدائم للكارثة، وهذا يهري الأعصاب». ويشرح معاناة كثيرين من «التوتر ما بعد الصدمة PTSD حيث ترجع الصور والذكريات والمشاعر ثانية، عدا التوتر الدائم، والاكتئاب».

وما يؤكّد زيادة الاضطرابات النفسية أيضاً هو «ارتفاع الطلب على المهدّئات وأدوية الأمراض العصبية»، بحسب نقيب الصيادلة جو سلوم. إلا أنّ زيادة الطلب لم تقابلها زيادة في الصرف والبيع، «بسبب انقطاع عدد كبير من الأدوية، وصعوبة الوصول إلى العيادات وتحمّل الأعباء المادية للاستحصال على وصفة طبية خلال الحرب»، على أن تعالج هذه الأزمة بعد وقف إطلاق النار لجهة سهولة الوصول إلى العيادات وسلاسل التوريد، علما أنّ «البدائل من هذه الأدوية كانت متوفرة في الحرب، وعدد من الصيادلة باعوها من دون وصفات طبية بحجّة الظروف الاستثنائية والطلب الكبير على المهدئات مثل Xanax وLexotanil»، كما يقول أحد الصيادلة.

> تزداد الحاجة إلى المهدّئات وأدوية الأمراض العصبية وإدمان على أدوية الاكتئاب

طوال فترة الحرب، ورغم حصول البعض على خدمات نفسية وجلسات علاجية بشكل محدود، ظلّت «القطبة النفسية» مخفية لعدم القدرة على الوصول إلى المعالجين النفسيين وتحمّل أعباء مادية إضافية، عدا عن أولويات أخرى تقدّمت على الصحة النفسية مثل تأمين مأوى آمن والحاجات الغذائية، ولم يكن العلاج عن بعد فعّالاً ومتاحاً للجميع. اليوم، تبرز الحاجة الكبيرة إلى «إغاثة» نفسية، بحسب المعالجين النفسيين والأطباء والجمعيات المعنية. و«ستنطلق ورشة العلاج بعدما كنا نقدم جلسات دعم نفسي جماعية وفردية مجانية للنازحين في مراكز الإيواء، ذلك أنه في ظلّ الحرب، ليس أمامنا سوى توفير الدعم اللازم للتعامل مع المخاوف والتعبير عن المشاعر»، كما تقول مديرة البرامج في جمعية «مفتاح الحياة» غنوى يونس. وفيما «ارتفع عدد الخدمات النفسية التي تقدمها الجمعية خلال الحرب وبعدها بنسبة 35%»، تتوقع يونس «المزيد من اضطرابات ما بعد الصدمة ستظهر خلال الأشهر الثلاثة والستة المقبلة».

كانت الحرب إذاً القشّة التي قصمت ظهر البعير، بعد سلسلة «نكسات» نفسية متعاقبة خلال فترة زمنية قصيرة، بدأت من انتشار جائحة كورونا، مروراً بانفجار مرفأ بيروت، وليس آخرها الانهيار الاقتصادي. «هذا كلّه سيحفر عميقاً في الذاكرة الجماعية وستتوارثه الأجيال مهما حاولنا الترميم». على أنّ الثابت هو حاجة الجميع إلى هذا الترميم لأن الحرب لم تُعفِ أحداً من الندوب، لكن بدرجات متفاوتة بين من يتغلب بنفسه على ما حصل، أو بدعم من المحيط، أو يحتاج إلى معالج نفسي. وتعيد رئيسة قسم علم النفس التربوي في مركز «نفسانيون» نانسي قاروط هذا التفاوت إلى «درجة الوعي الذاتي والمرونة النفسية، والتاريخ النفسي للفرد. فإذا كان مليئاً بالصدمات قد يكون أكثر قوة أو هشاشة، إلى جانب العوامل الوراثية، وما عاشه كل واحد في الحرب والمسؤوليات الملقاة على عاتقه، ودرجة التعرض للخطر والأذى، وظروف النزوح».

تقرير

العدو يواصل خروقاته تحت نظر الرعاة لجنة الإشراف باشرت عملها جنوباً

ساهمَت التطورات على الساحة السورية في تراجع الاهتمام بالجبهة الجنوبية حيث من المفترض أن تباشر لجنة الرقابة الخماسية على اتفاق وقف إطلاق النار عملها يوم الثلاثاء المقبل، بعدما اكتمل عقدها. وقد زادَ الخوف من أن تؤدي التطورات السورية إلى عودة التصعيد، إذا ما قرّر العدو الإسرائيلي استغلال تحركات الفصائل المسلحة لاستئناف حربه على المقاومة، وضرب هدنة الـ 60 يوماً التي يحاول أن يثبّت فيها واقعاً جديداً لجهة حرية الحركة.

وحتى يوم أمس، واصل العدو الإسرائيلي تنفيذ خروقاته ولو بوتيرة أقل، فيما بدأت لجنة الإشراف التي تضم ممثلين للبنان وإسرائيل والولايات المتحدة الأميركية وفرنسا و«اليونيفل»، عملها على أن تعقد أول اجتماعاتها مطلع الأسبوع المقبل. فيما أعلنت قيادة الجيش اللبناني أن رئيس لجنة الإشراف الجنرال الأميركي جاسبر جيفرز، قام برفقة الجنرال الفرنسي غيوم بونشين، والعميد الركن إدغار لاوندس قائد قطاع جنوب الليطاني، بجولة جوية على متن طوافة عسكرية فوق منطقة جنوب الليطاني للاطّلاع على الواقع الميداني.

وكان جيش العدو أطلق نيران أسلحته الرشاشة على قرى القطاع الأوسط، ولا سيما بلدتي عيتا الشعب ورامية، كما أطلق صاروخاً على عيترون أحدث دوي انفجاره إرباكاً وتوتراً لدى الأهالي، ما دفع البعض إلى ترك منازلهم ومغادرة البلدة، كما استهدف سيارة على طريق بلدة الماري وقصف أطراف عين عرب وفجّر منازل في يارون، وسط تحليق مكثّف لطيرانه.

وفي السياق، يعقد مجلس الوزراء اليوم جلسة خاصة في ثكنة بنوا بركات العسكرية، حيث سيعرض قائد الجيش العماد جوزف عون خطة تعزيز انتشار الجيش في منطقة جنوب الليطاني، بالإضافة إلى البحث في الترتيبات والإجراءات المتعلقة بعملية مسح الأضرار ورفع الأنقاض لإعادة إعمار ما تهدّم جراء العدوان الإسرائيلي على لبنان، وسط مطالبات الأهالي بأن تسرع الدولة في معالجة قطاعي الكهرباء والاتصالات وخدمة الإنترنت، هذا إلى جانب عملية إزالة الأنقاض ونقلها إلى أماكن أخرى إفساحاً في المجال أمام عمليات الترميم وبناء المنازل المتضررة جراء العدوان.

في هذه الأثناء، واصل أهالي قرى جنوبية عدة، انتشال جثامين شهداء من المقاومة من عدد من البلدات، كما جرت عمليات تشييع لعدد من المقاومين في أكثر من بلدة جنوبية، بينما ينتظر أهالي شهداء وصول الجيش إلى بعض قرى الحافة لأجل انتشال جثامين شهداء آخرين من تحت الأنقاض.

(الأخبار)

تقرير

جنود الرب – القوات اللبنانية: توتر القادة يدفع ثمنه الأنصار

رلى إبراهيم

لم تخمد النار بعد بين «القوات اللبنانية» ومجموعة «جنود الرب» المدعومة من رئيس مجلس إدارة مصرف «سوسيتيه جنرال» أنطون صحناوي. وزاد التوترَ تسريبٌ متعمدٌ لأجزاء من التحقيق حول مقتل رئيس مركز كرم الزيتون في «القوات» رولان المرّ منذ يومين، والإيحاء بأنه قُتل بنيران صديقة وليس بطلقات شباب الصحناوي. وهو ما استدعى ردّاً من الدائرة الإعلامية في «القوات» نفت فيه «تشويه الوقائع والتلاعب المفضوح بالحقائق» واعتبرته «تدخلاً سافراً في التحقيقات ومحاولة يائسة للتضليل والكذب». وقد انتقل الخلاف من الأشرفية الى برج حمود، ليل أمس، بعدما عمد شابان هما: بول وبيتر ج. من «جنود الرب» الى مهاجمة «القوات» ونزع صور وأعلام لها، ما دفع بعناصر من «القوات» الى التجمّع في المنطقة وسط توتر وانتشار أمني.

وبانتظار صدور نتائج التحقيق كاملة، علمت «الأخبار» من مصادر معنية أن الإشكال «وقع على خلفية ركن سيارة، بين أحد عناصر «القوات» في كرم الزيتون وشبان من «جنود الرب»، وتطوّر بعد العراك الى انتزاع مسدس الشاب القواتي واحتجازه». وقالت المصادر «إن اتصالات جرت مع قيادة «القوات» في معراب، التي أرسلت مجموعة من الشبان، بالإضافة الى رولان المرّ لأجل لستعادة المسدس. عندها تطور الأمر الى اشتباك مسلح بين الطرفين».

ويشير تقرير الطبيب الشرعي، الذي اطّلعت «الأخبار» على نسخة منه، الى «إصابة رولان بطلقة نارية أطلقت من مسافة تتجاوز المترين، وجاءت من الناحية الخلفية الى الأمامية، وبانحراف من الأسفل الى الأعلى، ومن القسم الخارجي الى الداخلي، ما أدى الى وفاته سريعاً». وبعد الكشف الطبي والاستماع الى إفادات الأطباء الذين عاينوا القتيل في مستشفى سان جاورجيوس، تبيّن أنه «أصيب بطلق ناري حوالي الساعة الثامنة مساء لينقل بعدها الى المستشفى وتجرى له كل التدخلات الطبية التي لم تفلح في إنقاذ حياته». ويقول التقرير إن «مدخل الطلقة النارية جرى من القسم الخارجي للكتف، حيث دخلت الرصاصة من الخلف الى الناحية الأمامية للقفص الصدري». أما «مخرج الطلقة النارية فكان على مستوى الأضلاع بالقسم الأيسر مع خروج الرصاصة نحو الأمام». وقد أصيب المر بإصابتين أخريين «تسبّبتا بجرح سطحي على القسم الأيمن للصدر وجرح مماثل في القسم السفلي الأيمن للصدر، وقد عمد الطبيب الى إزالة القطع المعدنية التي تبيّن أنها غير خارقة ولم تؤدِّ الى الوفاة بسبب عدم خرق الأنسجة الداخلية.

وقالت مصادر مطلعة على التحقيق إن «الطلقة التي أدّت الى وفاة رئيس مركز كرم الزيتون أُطلقت من كلاشينكوف، بينما جاءت الطلقات الأخرى غير الخارقة من مسدس تركي». وقد وضعت القوى الأمنية «إشارة منع سفر وتعقّب على كل من: ج. م. وف. س. المنتميين الى مجموعة «جنود الرب»، بينما تقدّمت قريبة المر بشكوى ضد الشابين المذكورين، بالإضافة الى شاب آخر ووالد رئيس مجلس إدارة مصرف «سوسيتيه جنرال» نبيل الصحناوي».

يشار الى أن أحد اللذين صدرت بحقهما إشارة توقيف، وينتمي الى «جنود الرب» هو صديق مقرّب للقتيل رولان ويتقابلان باستمرار وفق مصادر مناطقية، وهو ما دفع شباب «جنود الرب» بالدرجة الأولى الى الإيعاز عند حصول المشكلة مع الشاب القواتي بإرسال «معلمه» أي رولان لاستعادة المسدس. وتشير تلك المصادر الى حصول اشتباك مُسلّح بين «القوات» ومجموعة الصحناوي فور وصول شباب «القوات» من منطقة كرم الزيتون وانضم إليهم شباب أرسلوا من معراب.

هذا الصدام المسلح، هو الأول من نوعه بين الصحناوي و«القوات»، علماً أن علاقة كانت تجمع قائد القوات سمير جعجع مع المصرفي، وحصل تحالف متين نجم عنه في عام 2018 اعتماد قائمة انتخابية واحدة لمرشحيهما قبل أن يخرج النائب المحسوب على الصحناوي جان طالوزيان من تكتل الجمهورية القوية في عام 2020. وقد ترجم الخلاف بحالة جفاء بينهما، ثم تطور الأمر الى خلافات سياسية ترجمت في طريقة العمل داخل المجلس النيابي، وأهمها تصويت طالوزيان لمصلحة سليمان فرنجية كمرشح لرئاسة الجمهورية. فيما تحالف الصحناوي في عام 2022 مع الكتائب في الأشرفية وعمدا معاً الى إنشاء لجنة «أهلية» للحفاظ على الأمن في المنطقة. وثمة من يرى أن قلوب القادة «مليانة» سياسياً، بينما تجمع شبابهما على الأرض علاقة صداقة ولا سيما أن معظم من ينتمون اليوم الى مجموعة «جنود الرب» هم أعضاء سابقون في «القوات» وقد استمالهم الصحناوي، ووفّر لهم أعمالاً ووظائف تركّز على خدمات الحراسة الأمنية لمؤسساته أو لبعض الأحياء في المنطقة.



قضية

عصر الجنون: حرب الإخضاع والمقاومة

عامر محسن

«هذه بداية فرصةٍ لشرق أوسطٍ أكثر استقراراً، يُضمن فيه أمن إسرائيل ومصالح أميركا»

جايك سوليفان، مستشار الأمن القومي الأميركي

«الحرب نزيهة. لا مجال لأن تكذب عليها. ليس عليك أن تقول «أنا آسف» هنا. ليس عليك أن تختبئ. لا يمكنك أن تختبئ. وأن تموت، ما المشكلة؟ سوف تموت بين رفاق، وحولك أعداءٌ يستحقون التسمية. تسقط وأنت تنظر الموت في عينه. أمّا إن عشت، فهنا يا صديقي تبدأ الحياة الحقيقية، أليس كذلك؟ لا يعيش الإنسان حقّاً حتى يكون قد واجه الموت»

جو ابركرومبي، «الأبطال»

أصبحت للكثير من النساء في جنوب لبنان عادةٌ وهنّ يحضّرن المنزل للإخلاء مع كلّ حربٍ جديدة: يُترك الطّعام في الثلاجة ولا يُرمى.

> **علينا تذكّر شباب الجنوب. أن تفكّر في حالهم تحت النّار: قُتل قادتهم، سقط رفاقهم، قُصفت مواقعهم، خُرقت اتصالاتهم، وهم يواجهون احدث جيش في العالم. هم لم يصمدوا فحسب، بل جعلوا من كلّ قريةٍ معركة واعتبروا أنّ الحرب قد توقفت قبل الأوان**

يعرفون أنّ الاحتمال ضئيلٌ جدّاً، وأنّ الكهرباء ستنقطع ويفسد الطعام قبل أن يلمسه أحد، وستكون آثاره وبالاً حين العودة، ولكنّه يُترك مع ذلك تعويلاً على احتمال الصدفة البعيد بأنّه، ربّما، قد يحتاج «الشباب» إلى المنزل ويمرّوا به، فيجدون طعاماً بيتيّاً جاهزاً. هذا التهجير كان المرّة السادسة لهم خلال أقلّ من نصف قرن.

ولكنّ الحرب هذه المرّة «مختلفةٌ» حقّاً، وحين يؤرَّخ لهذه الفترة في المستقبل فهي لن تروى على أنها كانت حرب غزّة، أو لبنان، بل باعتبارها هجمةٌ تاريخية كبرى تهدف للسيطرة بالعنف على الإقليم وإنهاء مظاهر المقاومة فيه، لا تقلّ عن دخول أميركا عسكرياً إلى المنطقة إثر 11 أيلول، أو الحرب ضد القومية العربية في الستينيات، بل هي أكثر إصراراً وجموحاً. كان محمّد رعد دقيقاً في تشخيصه حين سمّاها حملةً غربية للهيمنة على غرب آسيا، وعملية فرض هذا «السلام الأميركي» لن تتوقّف على أعتاب فلسطين ولبنان، أو سوريا وإيران، بل ستكبر وتتمدّد، وتحلّ «التناقضات» بالقوّة حيث لا تكفي السياسة والهيمنة الناعمة. حتّى نظامٌ مثل الجزائر، لا يحارب المنظومة الغربية ولكن لديه قدر من الاستقلالية ولا يقبل باختراق البلد بالكامل من قبل رأس المال الدولي ومؤسساته، حتّى الجزائر ستصبح استثناءً نافراً و«غير مقبول» في السياق الجديد - وهدفاً يتحيّنون الفرصة للانقضاض عليه.

لو نظرت إلى العالم بعين الإمبراطورية اليوم، وخارطتها ومصالحها وتحدياتها، لبدا واضحاً كم أن سلوكهم في السنة الماضية كان «منطقيّاً» و«عقلانياً»، ولماذا هم لن يتوقّفوا بسهولة. إن اعتمدنا لغة العلاقات الدولية أيام الحرب الباردة، ونظرية «كرات البلياردو»، فإن هذا هو بالفعل الوقت المناسب لكي تحسم أميركا في الشرق الأوسط وتفرض مكاسبَ وتحجّم «المتمرّدين»، وإسرائيل قد فتحت الطريق: الشرق الأوسط هو من الأقاليم القليلة في العالم التي لا تزال «مفتوحة على المنافسة»؛ والمصلحة هي في إغلاق الباب سريعاً على الصين (وروسيا) قبل أن تشتدّ الحرب الباردة الجديدة، وتبدأ الصين بالنفاذ أكثر والتدخّل بشكلٍ سافر لصالح الخصوم؛ والمنطقة هنا - على عكس الصين وروسيا - لا تمتلك درعاً نووياً.

حربٌ على السيادة

الحقيقة أنّه، فيما كان «محور المقاومة» يتوسّع ويكسب معارك وساحاتٍ وحلفاء في العقدين الماضيين، كانت منظومة الهيمنة - أيضاً وبالتوازي - تعمّق نفوذها وسطوتها وشبكاتها في بلادنا: استتباع الدول والحكومات، اختراق طبقات المجتمع، تمويل المجتمع المدني والثقافة. والحلف الأميركي-العربي الرسمي لم يعد بمستوى استضافة قواعد أميركية على أرض العرب كما في الماضي؛ اليوم يتكلّم مسؤولو الدفاع في أميركا عن ما يشبه منظومة دفاع جوّي مشتركة أصبحت تشمل أكثر المنطقة تحت إدارة الأميركيين. وواشنطن تعلن عن نقل مقاتلات وقاذفات وقوات لها إلى الشرق الأوسط كأنها تنقل أسراباً وتشكيلات بين القواعد الأميركية ضمن ولاياتها.

تراكمت على مدى السنوات الماضية جملة من التناقضات الصارخة في هذه البلاد، «تعايشت» جنباً إلى جنبٍ بشكلٍ ما، وقد جاءت الحرب اليوم حتّى تفجّرها. كيف وإلى متى يمكن أن تزاوج بين حركات مقاومة شعبية معادية لإسرائيل وحكوماتٍ «موالية للغرب»؟ مؤسساتها الرسميّة يموّلها ويخترقها رأس المال الدّولي حتّى أنّها، في بلدٍ مأزومٍ مثل لبنان، لا «تحتاج» حتّى إلى الدولة الوطنية والمواطنين ودافعي الضرائب بقدر ما تحتاج إلى المموّل الغربي. أو التناقض بين أن تختار (أو تُسجن في) نموذج اقتصاد التبعيّة، حيث يعتاش البلد على الخدمات والمساعدات، وإنقاذ الحلفاء الأثرياء عند حلول أزمته الدوريّة، وبين أن يكون في وسطك «حزب الله»؟ وقبل ذلك كلّه، يبقى التناقض الأساسي بين غالبيّة سكانيّة عربيّة فقيرة في «دول الطوق» وأقلية، بين الخليج وإسرائيل، تحتكر الثروة والأمن والاستقرار لنفسها، وتحوّل محيطها إلى ميدان للسيطرة وحروب النفوذ. هذه كلّها معضلاتٌ من النّوع الذي لا يختفي بمرور الزمن وعبر التأجيل، وإن كنت لا تمتلك نظرية حول التعامل معها، وإستراتيجيةً وخطاباً، فهي سوف تُحسم ضدّك؛ وإن كنت في الماضي تراهن على أنّ هذه التحديات سوف تُحيّد بالسياسة والسلميّة، فهم قد اختاروا العنف.

من الاختزال القول إنّ الحرب القائمة في المنطقة هي «حرب محاور» أو أيديولوجيا. هذا خطاب القوّة وهي تسحق النّاس: أنتم تدفعون ثمن خياراتكم السياسيّة، مشكلتنا هي مع محوركم وإيران وليست معكم. الحقيقة هي أنّ من تعرّض للقصف والتهجير في غزّة ولبنان، ومن قاتل وصمد، كانوا أناساً «حقيقيّين» أجبرهم واقعهم على التنظيم وحمل السلاح، وهذه الحرب كانت ضدّهم تحديداً. وهدفها ضرب وتفكيك قوى «السيادة الشعبيّة» في المنطقة، وأيّ تعبير سياسيّ مسلّح عن إرادة النّاس (حتّى في الدفاع عن أنفسهم)، وهنا معنى «الإخضاع». ومعنى المفارقة هو أن تكون «الدولة»، في هذه المعادلة، ليست من يعبّر عن السيادة بل عن عكسها. لا أعرف ما هو المسمّى لهذا الشكل الجديد من الدّولة الذي ساد في الجنوب بديلاً من «الدولة الوطنية» في عصر العولمة والهيمنة: الدولة اللاوطنية؟ الدولة النيوليبرالية؟ أم ببساطة التعبير الماركسي القديم «دولة كومبرادور»؟ الخطّة الموضوعة لمختلف دول الأطراف، من جورجيا إلى لبنان، هو أن يحاور العالم الغربيّ حصراً «الدّولة» التي تشرف عليها سفاراته، و«المجتمع المدني» (أي «الطبقة الوسطى المحترفة» التي تلتقي مصالحها مع الغربيين) فيما تظلّ غالبيّة من الناس وفئات واسعة بلا صوت، أو حتّى «مجتمع مدني» يمثّلها وينطق باسمها كما لدى النخبة (كما يكرّر الأكاديمي الأوكراني فولوديمير ايشِشنكو).

ماذا لو هُزمت المقاومة؟

المسألة هي أنّه، حتّى لو ضُربت قوى المقاومة الحيّة في المنطقة أو تراجعت، فالتاريخ بالطبع لن يتوقّف. سوف نستمرّ، كأفرادٍ، بالعمل والكتابة ضدّ «الهيمنة». ويمكن أن ننقد المنظومة «من داخلها» (مثل الأكاديميين الغربيين)، ونحذّر من المغالاة في المسار النيوليبرالي، ونشارك في مظاهرةٍ في بيروت أو بوخارست. هذا في الحقيقة نمطٌ من النضال قد يفضّله كثيرون، ولكن القرار - لحسن الحظّ - ليس عندي وعند من هم مثلي. الموضوع هنا هو ليس عن سلوكك كفرد، بل أننا سنكون قد خسرنا قسماً رئيسياً من قوى الشعب الحيّة، ورجعنا عشرين سنة إلى الوراء (ومن أقلّ مظاهر ذلك أن نعود إلى أيام تقصف فيها إسرائيل يومياً قرى الجنوب وأهله، ولا أحد في مركز البلد يكترث).

من يستحقّ الشفقة حقاً هو من يفترض مستقبل استقرارٍ وازدهارٍ «ما بعد المقاومة». من أخبرك أنّ الإمبراطوريةً سوف تكون أكثر رفقاً وكرماً معك إن تمّ القضاء على مراكز المقاومة؟ أو أنها تنوي أن تستثمر في حلّ مشاكلك الأهلية وأزماتك الكثيرة؟ أنت ستكون، في أحسن الحالات، هامشاً طرفياً للخليج، وهو نفسه غير مضمون المستقبل، وبلادك كثيرة السكّان قليلة الموارد، وسوف ينخفض الحافز للحفاظ على استقرارك ودعم حكوماتك بالتوازي مع انخفاض التهديد. هي آلية «الحزام الواقي» كما يسمّيها علي القادري: أن تكون دولٌ «محظية»، تنتج النفط أو اسمها إسرائيل، خلف «الحزام»، محميّة بحصانة المظلة الإمبراطورية، فيما من يقبع خارج هذا الحزام هي «أرض سيبة» لا تحتاجها، ولا ضير في إهمالها أو إشعالها بالحروب. كمثالٍ على هذا النمط (وأفضل دليل على المستقبل هو الماضي)، هل تعرفون ماً كان «الإنتاج الأساسي» لبلدٍ مثل لبنان، أيّام «الاستقرار»، على طول ثلاثين سنة؟ الفوائد المصرفية. حرفيّاً. الجميع أصبح يعرف القصّة وكيف أفلسنا، وهذا كان «دورنا» في الاقتصاد العالمي. نقطة الضعف المشتركة عند حلفاء الغرب في دول الجنوب هي أنّهم، رغم كلّ القوى التي خلفهم، لا يملكون مشروعاً جماعياً تنموياً يحسّن ظروف الناس أو يحلّ المشكلات العميقة في المجتمع. كما يكرّر الباحث الأوكراني فولوديمير ايشِشنكو، فإن الأجندة الوحيدة، والمشروع السياسي الوحيد، عند «الطبقة الوسطى المحترفة» في دول الجنوب هو تقاربٌ أكبر للبلد مع السياسات والإرادة الغربية، كأن ذلك لوحده كفيلٌ بحلّ أزماته. من هنا أيضاً، يجب أن يكون واضحاً للمقاومين أنّ الصراع في أرضهم هو، في المحصلة الأخيرة، صراعٌ اجتماعيّ في كلّ بلد، إن خسرته يحاصرونك في نهاية المطاف ويتكاثرون عليك.

أمّا من يعتقد في الداخل أنّ هذه الحرب سوف تحلّ مشاكله، فهو من سيصاب بالخيبة الأكبر. من قال إنّ الحروب تحلّ المشاكل؟ هي في العادة تولّد المزيد منها. وها هو لبنان يبدي، حتى وهو لا يزال تحت نار الحرب، عوارض اندثار أي مفاهيم مشتركة عن الوطنية - تحضيراً لما سيأتي. من نجاحات إسرائيل خلال القتال كان أنها تمكنت من تحويل الحرب على لبنان إلى حربٍ على الشيعة اللبنانيين، بالمعنى الموضوعيّ الملموس والأيديولوجي الدعائي، وكان لها في البلد فريقٌ كبير رافق الخطّة، وكرّس وشرّع لفكرة أن يعيش البلد وشعبه واقعين مختلفين جذرياً في الآنِ نفسه. اللبنة الأولى في الشعور الوطني، بداهةً، هي أنه حين يتعرّض أهلك لاعتداءٍ أو مصيبة، وإن كانت كارثةً طبيعيّة أو زلزالاً، فمن المفترض أن تشعر تلقائياً أنّ مصابهم مسؤولية جماعية، وأنّه كان من الممكن أن تكون أنت مكانهم. البعض خلال الحرب أعلن - باسوأ طريقة ممكنة - أنّه قد تخلّى حتى عن أبسط الروابط.

بعض العدالة

كمّ التشفّي والوقاحة والاستفزاز الذي أصرّت بعض النخب والوجوه اللبنانية على ممارسته في لحظة الحرب (سياسياً وأخلاقياً) لم يكن مفهوماً بدايةً. وهم يرمونه في وجه أناسٍ هجّروا وخسروا بيوتهم وأحباءهم، ويتحرّقون كلّ ساعةٍ للعودة ولو إلى الرّكام، وهم مع ذلك يعضّون على جراحهم ولا يطلبون الصّلح ويرفضون الاستسلام - وأنت تريد ابتزازهم وإهانتهم. إن كنت تأمل بأن الحرب الإسرائيلية سوف تجلب مكاسب سياسية لك، فلماذا لم تصمت وتنتظر حتّى تأتيك هذه «المكاسب» لوحدها (لماذا لا يتعلّمون من وليد جنبلاط؟)، لمَ تجعل من نفسك شريكاً لإسرائيل في الثأر؟ هنا تنتبه أنّ هؤلاء ليسوا «مستعجلين» فحسب، أو «متسرّعين»، ولا أن غرائزهم الطائفية قد أججتها صواريخ إسرائيل؛ هم أيضاً في «تنافس» بين بعضهم ومزايدة مستمرّة على إثبات قيمتهم ومنفعتهم للأجنبي، وجرأة موقفهم أيّام القتال ومساهمتهم في الحرب ضدّ المقاومة، هكذا تبنى السّير الذاتيّة هذه الأيّام.

ولكنّ الخيبة ليست بعيدة عن هؤلاء، والدلائل تشير إلى أننا لا ندخل عصر السكون بل أقرب إلى عصر الجنون، حيث كلّ شيءٍ مباح ولا يعود في الوسع الوقوف في الوسط. هناك، قبل كلّ شيء، أسئلةٌ كثيرة وشكوك تحتاج إلى جواب، وإن لم تقم أنت بتوفير أجوبة وافية للناس فإنّ عدوّك هو من سيقدّمها. كان من المتوقّع منذ زمنٍ أن تتلو هذه الأيام موجة «ثقافية» تشبه حالة «النقد الذاتي» التي تلت حرب 1967، حيث ينبري كلّ مثقّفٍ ليقول إنه قد اكتشف الخلل، وإنّ الخلل «ثقافي»، ثمّ يقترح علينا اكتشافاتٍ جديدة لم نسمع بها من قبل مثل «العقلانية». المسألة، بالطبع، هي ليست في العقلانية كمفهوم، بل في أيّ نمطٍ من العقلانية يتمّ الترويج له، وانطلاقاً من أيّ تراث، وبحسب أي نظرة للعالم والسياسة؟

أصبحت في عمرٍ لا أستبعد فيه شيئاً، ولا أستغرب فيه إلا السّلام والهدوء. ولكن، قبل أن تأخذ سيناريو «الإخضاع» بجديّة، فإنّ عليك أن تدخل عدّة عواملٍ في الاعتبار: النّاس التي ضحّت وخسرت ولا تُريد أن تُهدر تضحياتها، والتي عانت واحتملت وصمتت وما عادت تريد الصّمت. الذين كان يلجمهم قائدٌ فاستشهد،

> **هجمةٌ تاريخية كبرى هدفها السيطرة بالعنف وإنهاء مظاهر المقاومة. ولا تقلّ حجماً عن دخول أميركا عسكرياً إلى المنطقة إثر 11 أيلول، أو الحرب ضد القومية العربية في الستينيات... ومن يستحقّ الشفقة حقاً هو من ينتظر استقراراً وازدهاراً «ما بعد المقاومة»**

والذين أعطوا طويلاً وكثيراً من أجل الكرامة حتى يتخلّوا عنها الآن. بل، قبل ذلك كلّه، عليك أن تتذكّر مجدداً أولئك «الشباب» في الجنوب. إن كنت تعتقد أن الحرب كانت عصيبةً عليك وصعبة فحاول، للحظة، أن تفكّر في حالهم تحت النّار: قُتل قادتهم، سقط رفاقهم، قُصفت مواقعهم، خُرقت اتصالاتهم، وهم يواجهون أحدث جيشٍ في العالم. هم لم يصمدوا تحت هذا الضغط فحسب، بل جعلوا من كلّ قريةٍ معركة ومن كلّ بقعةٍ كميناً، واعتبروا أنّ الحرب قد توقّفت قبل الأوان، وهم الآن قد عادوا بيننا. هل تعتقد حقّاً أنّك سوف تجعل هؤلاء يخضعون؟ أو تظنّ أنّك ترسم لنا خطّاً جديداً في ناموس الكون وتاريخنا، يستشهد فيه السيّد وأبناؤه، فيما يعيش أبناء الأمراء وخدمهم، ويرتعون ويزدهرون ويملكون المستقبل؟ أما لمثل هذا قد ولد الجنون؟



سخط مستوطني الشمال مستمر: عودتنا تعني سيرنا نحو المذبحة

لا يزال النقاش في إسرائيل قائم بقوة حول نتائج الحرب مع لبنان. السخط على بنيامين نتنياهو من فريق اليمين مستمر، لكنه ليس بالقوة الدافعة إلى تغييرات كبيرة، وخصوصاً أن الجيش والمؤسسة الأمنية يعتبران أن «وقف إطلاق النار هو الخيار الوحيد القابل للتطبيق حالياً».

لكن، يبدو أن الضجة قائمة بصورة أكبر لدى عشرات الآلاف من النازحين من المستوطنات القريبة من الحدود اللبنانية الذين كانوا يريدون حلاً من نوع مختلف. ونقل موقع «ميشباخا» عن رئيس بلدية كريات شمونة، أفيخاي شتيرن قوله «إن هذا الاتفاق يقربنا من السابع من أكتوبر المقبل في الشمال، لأن ما خطّط حزب الله للقيام به بعد عام من الآن، سيتم تنفيذه الآن في غضون عشرة أعوام. لكنه سيفعل ذلك لأننا لم نتعلم شيئاً».

ويُضيف شتيرن أن سكان كريات شمونة «يشعرون بالتخلي عنهم. منذ أكثر من عام، لقد تحملنا الوضع رغم الظروف غير المثالية، ومن دون شكوى. وقد وُعدنا بواقع أكثر أماناً. والآن من المتوقع أن نعود، لكن لم يتغير شيء. نحن نعود إلى نفس الوضع الهشّ الذي تركناه وراءنا قبل أكثر من عام. أنا لا أنكر أن أضراراً كبيرة لحقت بحزب الله، وفي غضون عام أو عامين سيُعيد البناء. ولكن ما الذي اختلف الآن؟ إذا كان الناس في غزة لا يزالون ممنوعين من العودة إلى المناطق الحدودية، فلماذا نعود إلى الشمال؟، نحن نعلم ما ينتظرنا على الجانب الآخر من الحدود. لقد عشنا ذلك».

وبحسب دوريات إسرائيلية، من بينها ندوات على قنوات التلفزة، فإن الملف المتعلق بالتعويضات المالية يسيطر على عقول رؤساء مجالس المستوطنات، كما على المستوطنين. وهم يطالبون الحكومة بصرف مبالغ كبيرة تصل إلى نحو 2,5 مليار دولار. وهو ما ترفضه الحكومة لأنها تعتبره رقماً مبالغاً فيه. وقال مراسلون أجانب، إن وزير المالية يسرائيل سموتريش رفض طلبات من رئيس بلدية حيفا، لأنه يعتبر أن حزب الله لم يقصف البنى التحتية المدنية، ولم يستهدف إلا بصورة محدودة جداً المنازل. وبالتالي فإن التعويضات تخص الخسائر غير المباشرة، وهو أمر لا يخص وزارة المالية.

ومع ذلك، فإن معارضي وقف الحرب

> **نقاشات حول الأضرار وحول نجاعة وقف إطلاق النار وأفكار حول الضمانات الأمنية والاقتصادية**

ليسوا كل من يقف في المشهد. ويقول المدير الحالي لأبحاث السياسة في معهد دراسات الأمن القومي في تل أبيب عوفر شيلح إن «وقف إطلاق النار ليس مفيداً فقط. بل إنه ضروري أيضاً. إن ما يهم أكثر هو وقف القتال، وليس ما هو مكتوب في الاتفاق. أما تفاصيل الوثيقة فهي ثانوية. إنها ليست عقداً قانونياً سيتقاضى الناس عليه لسنوات. والشيء المهم - وهذا شيء تعلمناه من الاتفاقات السابقة - هو ما يحدث بعد التوقيع».

ويقول شيلح «إن وقف إطلاق النار ضروري الآن لأن الجولة الحالية من القتال انتهت فعلياً. ويشير الاتفاق إلى أن كلا الجانبين يريد أن ينتهي الوضع الحالي، خاصة لأن أياً منهما لا يرى أي فائدة في الاستمرار»، كما يقول. «الواقع أن كلا الجانبين توصّل إلى استنتاج مفاده أن من مصلحتهما وقف القتال. والآن ندخل مرحلة جديدة، وفي هذا السياق، فإن الشروط المكتوبة للاتفاق غير ذات صلة. على سبيل المثال، أجرت إسرائيل عملية في لبنان حتى بعد توقيع الاتفاق».

ولكن بعيداً من التحليل السياسي، فإن المشكلات تطل برأسها حول واقع المستوطنات. فإذا جرى التعامل مع مدينة كريات شمونة، فقد غادرها 90 في المئة من السكان البالغ عددهم نحو 25 ألف نسمة، ونقلوا إلى 560 مستوطنة و320 فندقاً. وما كان يأمله هؤلاء أن يقيم جيش الاحتلال منطقة عازلة أمنية بعمق 3 إلى 5 كيلومترات، حيث لا يمكن لأحد الدخول». ويقول رئيس مجلسها «غداً، سيأتي شخص، ويبني ما يبدو وكأنه منزل، لكنه ليس منزلاً. إنه مخبأ للأسلحة، مخفي بين المدنيين، لغرض وحيد هو مهاجمة الإسرائيليين. سيضعون الأسلحة في غرف النوم، وفي اللحظة التي يختارونها سيضربون. سيكون هذا هو السابع من أكتوبر القادم بالنسبة إلينا».

ويعترض المستوطنون على تقديرات المسؤولين للوضع ويقول شتيرين «المسؤولون عن الأمن يتناوبون كل عامين. لكننا سنظل هنا. أريد أن يكبر أطفالي هنا ويبقوا هنا. ولكن من يضمن ماذا سيحدث بعد ذلك؟... أصدّق الجيش عندما يقول إنه سيدفع قوات حزب الله إلى الوراء. ولكن هل يتجول عناصر حزب الله وهم يحملون ختم حزب الله على جباههم؟، إنّ الأشخاص الذين يهاجموننا هم مدنيون في منازلهم، هكذا تعمل المنظمات، فهي تدمج نفسها داخل المجتمع المدني. لا أحد يمكنه منع ذلك».



وعندما سُئل عوفر شيلح عن انتقادات سكان الشمال، قال للموقع نفسه «لديهم الحق في التعبير عن إحباطهم. بعد كل شيء، قامت الدولة بإجلائهم منذ أكثر من عام، وهم يستحقون العودة إلى منازلهم. لكن من المهم أن ندرك أن أي شخص يعتقد أنه من الممكن خلق واقع من دون تهديدات من لبنان يُسيء قراءة الموقف. إسرائيل لا تمتلك القدرة العسكرية أو الديبلوماسية لتحقيق ذلك».

ويدعو شيلح الحكومة إلى «تنفيذ نظام دفاعي يمكن للسكان أن يروا ويشعروا به، حتى يضمنوا لهم بأن 7 أكتوبر لن يتكرر، وإن كان هذا لا يعني أن الصواريخ لن تسقط. ثم بدء الاستثمار في إعادة بناء اقتصاد الشمال، الذي تأثر بشدة، بالتوازي مع اتخاذ إجراءات عدوانية لمنع حزب الله من الاقتراب من الحدود مرة أخرى». ويختم شيلح بدعوته المستوطنين إلى أن يتصرفوا بعقلانية لأن «أي شخص يعتقد أن إسرائيل قادرة على إخضاع حزب الله عسكرياً أو إنشاء حزام أمني داخل الأراضي اللبنانية لا يقرأ الموقف بشكل صحيح».

ومع ذلك فإن قرار العودة إلى الشمال ليس واضحاً بعد. ويقول شتيرن «إذا أمرت الحكومة السكان بالعودة، فلن أعارض القرار فقط، بل سأشجع على التمرد بنشاط، وسأبذل قصارى جهدي لضمان عدم عودتهم. لأن العودة الآن ستكون بمثابة السير نحو مذبحة محتملة. ولست وحدي في التفكير في هذا. أي رئيس بلدية في الشمال، أي شخص يعرف حقيقة العيش بالقرب من الحدود، يفكر تماماً كما أفعل. لا جدال. الشيء المذهل هو أنه حتى الآن، نحن فقط من فهم هذا. الآن تعرف البلاد بأكملها ما هو على الجانب الآخر».

وفي السياق نفسه، نشر موقع «واينت» تقريراً حول لبنان، جاء فيه «إن الإنجازات العملياتية التي حققتها حرب الاستنزاف الطويلة في لبنان تعطينا الأمل في أن الأمر سيكون مختلفاً هذه المرة، لأن حزب الله أصبح أضعف من أي وقت مضى. كما أن نوعاً من صحوة اللبنانيين بدعم من الغرب والسعودية والإمارات قد يحدث التغيير. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ تطبيق إسرائيل العدواني لبنود الاتفاق، على عكس ما تم القيام به منذ عام 2006 قد يضمن لنا عشرين عاماً من السلام النسبي على الحدود اللبنانية. ومن المحتمل أن تحاول إيران إعادة تأهيل حزب الله، في غياب البديل الأفضل لتحقيق أهدافها ويتعين علينا أن نمنع ذلك».

(الأخبار)

نسبة الانتصار والخسارة

سعد الله مزرعاني *

أحد أسباب التريّث في تقييم الحرب بين المقاومة والعدو الصهيوني، أن هذه الحرب لم تنتهِ تماماً بعد. ذلك، ببساطة، لأن الأسباب التي أدت إلى حصول «طوفان الأقصى»، ونعني بذلك «طوفان» التطبيع وآخره مع قيادة المملكة السعودية (قبيل 7 أكتوبر 23)، على وشك أن يُستأنف حالياً، وإن بوسائل بالغة الهمجية، اعتمدها العدو وبرّرتها واشنطن ووفّرت له ولها، مع عتاة حلفائها الغربيين والمتواطئين العرب، كل أسباب المضي في العدوان لأكثر من 14 شهراً! إلى ذلك، فإن «حرب الإسناد» في لبنان التي حوّلتها تل أبيب إلى حرب برية، بهدف تصفية «حزب الله»، لم تضع أوزارها بشكل راسخ بعد، بسبب أن حكومة المتطرفين الفاشيين، بقيادة نتنياهو، قد أضافت إلى البُعد الإقليمي للصراع، بما هو صراع على المنطقة وثرواتها وأسواقها وموقعها ومصائرها، بعداً تلمودياً جامحاً يمسك أنصاره، في الحكومة الحالية، بمعظم القرار في كيان العدو. إلى ذلك، فإن التوليفة التي اعتمدتها واشنطن، في الشكل والمضمون، لوقف إطلاق النار الذي طلبته إسرائيل وأعلنه الرئيس بايدن في 27 ت 2 الماضي، هي عملية مفخّخة لتمكين جيش العدو، المرهق والذي تكبد خسائر فادحة في غزة ولبنان خصوصاً، من أن يحقق في ظل وقف إطلاق النار ما عجز عن تحقيقه أثناء القتال. هذا الأمر، مقروناً بخروقات جيش العدو الـ 60 الجسيمة والدامية والشاملة (حتى منتصف الأسبوع الحالي)، يشير إلى المنحى الخطير والتآمري والعدواني الذي تتواطأ على تمريره واشنطن (الوسيطة)، والموجّه، أساساً، ضد لبنان وجيشه وشعبه وسيادته، وليس فقط ضد المقاومة. علماً أن ذلك لم يواجه بشكل حازم من قبل الحكومة اللبنانية. وهو يهدد، فعلاً، بانهيار وقف إطلاق النار الذي يؤكد نتنياهو أنه محدود، أو اختباري، خلال 60 يوماً.

مع ذلك، لا بدَّ من تقييم ما حصل من جولات حتى الآن. لعل أول ما ينبغي ملاحظته في كل تقييم موضوعي وأخلاقي (لأن الأخلاق في عالم السياسة هي أحد أبرز شروط الموضوعية)، أن المقاومين في لبنان، وقبلهم - حتى ما بعد وقف إطلاق النار بين العدو والمقاومة في لبنان - مقاومو غزّة، قد سجّلوا بطولات مدهشة: بكفاءة وإصرار وإرادة، فاجأت العدو قبل الصديق. وهذا إن دلَّ فعلى أن هؤلاء المقاومين هم أبناء أو أصحاب قضية حفّزت لديهم عظيم التضحيات والصمود والثبات، رغم الخسائر الهائلة، وتفوّق العدو ووحشيته التي جعلت حربه حرب إبادة على المدنيين والعمران والحياة كما لم يحصل، بمثل هذه الضراوة والمدة والأدوات، في تاريخ كل الحروب. إن ذلك كان هو العامل الأساسي في تحقيق انتصار، نسبي على الأقل، وهذا ما حصل في ما يخص المقاومة التي أفشلت أهداف العدو، وإن لم تتمكن من تعطيل قدرته على الدمار والإرهاب والقتل واستهداف ملايين الناس: في غزّة أولاً، وفي لبنان ثانياً.

دخلت المقاومة في لبنان هذه الحرب من موقع هجوم استباقي (دفاعي في الجوهر)، الأمر الذي عمَّق الانقسام الداخلي في بلد ترفع نسبة وازنة (ومقررة غالباً) من سياسييه وفعالياته المؤثرة، شعار «الحياد»، الموجّه أساساً ضد أي دور لبناني مناهض للسياسات الغربية عموماً. ثم إن الأزمة الطاحنة التي ضربت لبنان واللبنانيين بسبب النهب والفساد وعقم السياسات، والتباس موقف المقاومة منها تبعاً لأولوياتها، وحملة واشنطن لإلقاء مسؤولية الأزمة على سلاح المقاومة، قد شكّلت عامل ضغط على كل قرار بالغ التكلفة، كما هو الأمر بالنسبة إلى قرار «إسناد» غزة. وبالفعل خاض العدو حربه ضد المدنيين اللبنانيين، كما حصل في غزة، وفي كل المناطق التي تشكل بيئة حاضنة للمقاومة. زاد في الصعوبات أن المقاومة كانت وحيدة على الأرض: حيادٌ مطلق للجيش وقوى الأمن، وكأن المعركة في بلدٍ آخر. عجزُ أي فريق وطني لبناني عن الإسناد والمشاركة بشكل ولو جزئي. تعاظمُ التآمر الداخلي بتحريض من واشنطن خصوصاً، لإضعاف المقاومة وتوهين جمهورها تمهيداً للانقضاض عليها لاحقاً، بعد ضربها عسكرياً كما كانت تأمل وتخطط تل أبيب وواشنطن معاً.

لم تفعل الغارات القاتلة فعلها المنشود. لقد صمد جزء كبير من جمهور المقاومة وداعموها. في السياق لم تنجح، بشكل مؤثر، حملات التحريض على المقاومة في مدة الحرب. أول الأسباب، الموقف الشعبي والسياسي السلبي من العدو ومن جرائمه خصوصاً في غزّة. الثاني، القلق من اندلاع فتنة داخلية كان يخشاها الجميع ولو تظاهر البعض بعكس ذلك. لعبت دوراً مهماً أيضاً، في هذا الصدد، مواقفُ المقاومة نفسها لجهة حدود ومحدودية المواجهة في مرحلة «الإسناد» تقليصاً للخسائر العامة، وفي الصمود والمواجهة الباهرة في المرحلة الأخيرة. هذا إلى مواقف مسؤولة لعدد من القادة من بينهم الزعيم وليد جنبلاط، ووسطية «التيار الوطني الحر»، والمناخ البيروتي والطرابلسي المتعاطف مع غزّة سياسياً والرافض لدعوات الفتنة.

بيد أنه ينبغي التوقف، في هذا المجال، عند مسألة ما برز من خلل فادح في يقظة وحذر المقاومة، ومن اختراقات خطيرة تقنية وبشرية، في صلب أمنها. وهو خلل استمر واستشرى وتفاقم إلى درجة بالغة الخطورة وباهظة الأثمان على كل صعيد: منذ البدايات، وحتى اغتيال القائد الكبير الشهيد السيد حسن نصرالله! هذا إلى ما تبدّى من عدم التنسيق الكافي والضروري، بشأن إطلاق عملية «طوفان الأقصى» بين فرقاء «المحور»: لبلورة خطة مشتركة وشاملة، ولوضع «وحدة الساحات»، بشكل جدي، موضع التنفيذ الكامل، ولامتلاك تقدير صحيح، ولو نسبياً، بشأن التوازنات وردود فعل العدو وداعميه.

أمّا بالنسبة إلى الاتفاق وبنوده، فهو قد جاء على صورة الوسيط الأميركي، وضعف الموقف الرسمي اللبناني ممثّلاً بموقف الحكومة ورئيسها خصوصاً. كما جاء مشوباً بالتأثير السلبي للخسائر المشار إليها آنفاً، مرة في بعض البنود، وعموماً في مرحلتي التطبيق والرقابة: بقيادة مباشرة من الأميركي أيضاً! إن «الوساطة» الأميركية هي، دائماً، الوجه الثاني المكمِّل والاحتياطي للعدوان. كل ما جرى، منذ وقف إطلاق النار حتى اليوم، يؤكد ذلك، دون الحاجة إلى الاستفاضة في ما حصل. إنّ ما بدا وكأنه وقف إطلاق نار من طرف واحد، وتداركته قيادة المقاومة جزئياً، لم يكن سوى البداية في محاولة متكاملة العناصر والمراحل، لكي تحقق إسرائيل، بإدارة «الوسيط» الأميركي، بعد وقف إطلاق النار، ما عجزت عنه في أتون المواجهة. بذلك تكون الانتهاكات جزءاً أصيلاً من الاتفاق نفسه! تخوض واشنطن المعركة الآن، ومن الداخل اللبناني: بالتحريض على المقاومة، وبتغذية التناقضات الداخلية، وبمحاولة السيطرة على المواقع الأساسية، السياسية والأمنية، في مؤسسات الدولة، وبالتحكّم في إعادة الإعمار، وبالتهويل باستئناف الحرب... إذا لم يتم نزع سلاح المقاومة بالطرق السياسية.

المرحلة الراهنة، حيث الانتصارات والانكسارات النسبية، والمفتوحة على كل أنواع الصراع، تحتاج تناولاً لاحقاً أكثر تركيزاً، لجهة السمات والمهمات، خصوصاً بعد التدهور الدراماتيكي للوضع في سوريا.

*** كاتب وسياسي لبناني**

ملاحظات نقدية على اتفاق وقف النار: السقطة [1]

أسعد أبو خليل *

يفتقر حزبُ الله في تاريخه إلى خبير في القانون الدولي؛ وعليه فقد وقع ضحيّة خِدَع وحِيَل من أعدائه وبمشاركة من خصومة الداخليّين (مثل السنيورة و14 آذار في حرب تمّوز). الخديعة الكبرى كانت عندما صدّق الحزب أنّ هناك «محكمة ذات طابع دولي» وأنّها غير دوليّة. هذه المحكمة هي النافذة الأهم في اختراق الحزب من الداخل وتجميع معلومات عن أعضائه وقياديّيه. الحزب اليوم ليس في وضع صحّي وسليم بعد الكارثة التي حلّت به، وهو صمد بصورة أسطوريّة خلال الأشهر الماضية رغم وحشيّة العدوان الأميركي-الإسرائيلي عليه. يعيش الحزب تحت النار منذ انتصاره في 2006، والانتصار في الصراع مع العدوّ أصعب بكثير من الهزيمة. لا يكفّ العدوّ (مع حلفائه الأشرار في الغرب) شرَّه عنك لو انتصرتَ عليه. هو أعدّ خططاً للنَّيل من الحزب منذ ذلك التاريخ، ونصب الكثير من الفِخاخ على مرّ السنوات، والحزب تجنّب بعضها ووقع في البعض الآخر. مناسبة الكلام هو اتّفاق وقف النار الأخير، وهو يعوّل على مضمون اتفاق 1701. لبنان ليس بلداً سهلاً لو أنتَ أردتَ أن تقارع المُحتلّ: تعلم أنّك تصارع إسرائيل أو الاستعمار الغربي، ونصف الشّعب اللبناني (أو أكثر كي نكون منصِفين) يناصرون العدوّ ويتمنّون النصر له على أعدائه العرب (لبنان بلد شنيع: كان بعض راكبي حافلتي المدرسيّة يكرهون الملاكم محمد علي كلاي لأنه أسلمَ - وهذا في مدرسة تزهو بنخبويّتها). في 2006، وضع السنيورة جملة من النقاط في مؤتمر روما، لكنّ ديفيد هيل في كتابه الأخير فضح السنيورة إذ قال إنّ مطالب السنيورة منقولة أو مستورَدة أو مستوحاة من المطالب الأميركيّة التي هي مستقاة من أوامر اللّوبي الإسرائيلي. أي إنّ السنيورة، مصادفةً، استوحى مطالب إسرائيل ووضع دمغة لبنانيّة عليها. الاتّفاق كان سيّئاً في 2006 لكنّ الحزب القوي عرف كيف يتحايل عليه، خصوصاً والعدوّ ضرب رقماً قياسيّاً (حتى بالنسبة إليه) في خرق الاتّفاق. ليست كليشيه عندما نقول إنّ هذا عدوّ لا يحترم المواثيق والعهود والاتّفاقيات، والذي يصدّق التزامات العدوّ لا يكون قد قرأ عن تاريخ الصهيونيّة.

ما هي الملاحظات على اتّفاق وقْف النار الأخير؟ هاكم بعضها:

أولاً، يفضّل العدوّ، مرّة أخرى كما في 2006، صيغة «وقْف الأعمال العدائيّة» على صيغة وقْف النار أو هدنة أو وقْف الحرب. والتنبّه إلى صيَغ الكلام غائب أحياناً عن المفاوض العربي (لم يكن عند فريق مفاوضي عرفات خبير في القانون الدولي). وافق العرب على اتّفاق 242 رغم صيغة «الانسحاب من أراض» (وليس الأراضي). تقول إسرائيل بوقف الأعمال العدائيّة لأنّها تريد استمرار صيغة حالة الحرب بين لبنان وإسرائيل؛ لأنّها تسمح لها بالعدوان متى شاءت. لهذا إنّه من المضحك أن يطالب جنبلاط والبطريرك الراعي (المُحايد الذي يريد السلام والأمن لإسرائيل) بتطبيق اتّفاق الهدنة. متى احترمت هي اتّفاق الهدنة وكانت تفرض شروطاً وأوامر على الجيش اللّبناني في كلّ السنوات التي سبقت الحرب الأهليّة (وحتى في سنوات الحرب حتى مجيء إميل لحّود، الرئيس الوطني الوحيد في تاريخ لبنان)؟ اتّفاق الهدنة لم يمنع إسرائيل مِن قصف طائرة مدنيّة في 1950، ومِن قصْف مضخّة مياه على الوزّاني في 1964 ومِن خطْف رعاة وقَتْلهم في الجنوب وزرع متفجّرات في نواح مختلفة من لبنان.

ثانياً، ما كان على لبنان أن يقبل صيغة الاجتماع الثلاثي في الناقورة والاعتراف بـ«حكومة إسرائيل» في اتّفاق الحدود البحريّة. هذه صيَغ تفرضها أميركا على لبنان وعليها مترتّبات قانونيّة. كان على لبنان أن يصرّ على منْع الاجتماع المباشر مع العدوّ وعلى عدم الموافقة على أيّ صيغة نصّية تتحدّث عن حكومة إسرائيل. في الاتّفاق الأخير هناك نصّ عن «دولة إسرائيل» و«جمهوريّة لبنان». كان يمكن للبنان أن يتحفّظ في نصّ مرفق على النصّ والإصرار على الإشارة إلى «دولة الاحتلال والإبادة والعنصريّة الإسرائيلية».

ثالثاً، تحدّث الاتّفاق عن «نهاية مستدامة» للأعمال العدائيّة. صيغة المستدامة يجب أن تكون مرفوضة لأنّها حيلة تريد إسرائيل أن تدخل منها لتسويغ أعمالها العدائيّة في المستقبل. تستطيع أن تقول: الوقف الحالي للنار ليس مستداماً وعليه يجب أن أقوم بعمليّات قصْف وقتْل هنا وهناك. أو كان يمكن لجمهوريّة لبنان أن تفرض تعريفاً للعبارة وألّا تتركها لأميركا وإسرائيل كي تفعلا بها ما تشاءان.

رابعاً، ويفرض الاتّفاق قيام الطرفَيْن «بخطوات لنشر شروط من أجل حلّ نهائي وشامل». هذه صيغة خبيثة وشنيعة لأنّها تجرّ لبنان للموافقة على حلّ شامل ونهائي فيما ليس هناك من حلّ نهائي وشامل بيننا وبين العدوّ حتى زوال الدولة الاستيطانيّة من أرض فلسطين. والصيغة هذه تجعل لبنان يخطو خطوات ثابتة نحو حلّ منفرد، على غرار الدول العربيّة التي طبّعت مع إسرائيل. إنّ أيّ حلّ يجب أن يكون جزئياً ومؤقّتاً لأنّ صراعنا مع إسرائيل غير محكوم فقط بالحرب الأخيرة أو بأيّ حرب سابقة. الحلّ الدائم مع إسرائيل يعني قبولنا بها وباحتلالها، خصوصاً أنّ لبنان وافق على الصيغة فيما لا تزال إسرائيل تحتلّ أراضيَ لبنانيّة (مزارع شبعا وتلال كفرشوبا وقرية الغجر - كم هو طريف عندما يتطوّع ساسة لبنان لمنْح إسرائيل هذه الأراضي بحجّة أنّها سوريّة. لماذا لا نقول لإسرائيل: إنّ لبنان أرض سوريّة أيضاً وعليه يمكن لكِ أن تحتلّي لبنان من شماله إلى جنوبه)؟

خامساً، كيف يمكن أن يوافق لبنان على اتّفاق يشمل إسرائيل يتحدّث عن «نزع سلاح كلّ المجموعات المسلّحة في لبنان». هذه سابقة. تخيّل: لو أنّ لبنان فرض في الاتّفاق شرطاً: ضرورة نزْع سلاح المستوطنين اليهود في فلسطين المحتلّة. كيف وافق لبنان أن يكون لإسرائيل رأي في مجموعات مسلّحة في لبنان؟ خصوصاً أنّها نشأت لطرْد المُحتلّ الإسرائيلي من أرض لبنان. وهذا الأمر يجرّ الكثير: أي إنّ لبنان سمح لإسرائيل في اتّفاق متعدّد الأطراف أن تتدخّل في شأن لبناني سيادي محض من دون أن يكون لبنان قد أصرّ على شرط موازٍ يُفرض على إسرائيل. أي إنّ لبنان وافق أن يكونَ الطرف الضعيف الذي يسمح لعدوّه بفرض الشروط عليه.

> كيف يمكن أن يوافق لبنان على اتّفاق يشمل إسرائيل يتحدّث عن «نزع سلاح كلّ المجموعات المسلّحة في لبنان»؟ هذه سابقة. تخيّل: لو أنّ لبنان فرض في الاتّفاق شرطَ: ضرورة نزْع سلاح المستوطنين

سادساً، كيف يمكن لاتّفاق يشمل إسرائيل وأميركا بأن يسمّي بالاسم من يحقّ له حمْل السلاح في لبنان؟ لقد سمّى الاتفاق بالاسم كلّ الأجهزة التي تسمح لها إسرائيل وأميركا بحمْل السلاح. هذا البند مستقى من اتفاق 17 أيّار. كيف يمكن أن لا يرى المفاوض اللّبناني هذه السَّقْطة الفظيعة. ليس هناك اتفاقات بين الدول تقوم فيها دولة بالإملاء على أخرى شروط التسلّح وحقوقه داخل تلك الدولة. لبنان لم يستسلم والمقاومة فيه لم تستسلم (والعدوّ كما يتسرّب اليوم هو الذي أراد وقف النار) لكنّ هذا الاتفاق هو بين طرف منتصر وآخر مُستسلم. الحزب لم يستسلم وصمد حتى اللّحظة الأخيرة لكنّه قبل بشروط ستتناقض مع إعلانه عن انتصاره في الحرب (هذه المسألة تحتاج إلى نقاش آخر منفصل).

سابعاً، البند الثاني يفرض على حكومة لبنان «منع حزب الله وكل المجموعات المسلّحة الأخرى من القيام بأيّ عمليّات ضدّ إسرائيل» لكنّه يقول إنّ إسرائيل، في المقابل، «لن تقوم بأيّ عمليّات هجوميّة ضدّ أهداف لبنانيّة، بما فيها المدنيّة والعسكريّة وأهداف أخرى للدولة». ملاحظتان حول البند: (1) يحصر التزام إسرائيل بوقف الأعمال الهجوميّة، أي إنّه يُسمح لها إلى ما لا نهاية بالقيام بعمليّات تسمّيها هي دفاعيّة. وكلّ حروب إسرائيل وعدوانها مصنّف منها بأنّه دفاعي محض. أي إنّ لبنان اعترف بحقّ إسرائيل في الاعتداء عليه بحجّة الدفاع. (2) تعترف إسرائيل ضمناً في هذا البند بأنّها كانت تضرب أهدافاً مدنيّة إذ إنّها تتعهّد بوقف الاعتداء على أهداف لبنانية «بما فيها المدنيّة». ليس من دولة متوحّشة غير إسرائيل لا تمانع في الاعتراف باستهدافها للمدنيّين.

ثامناً، البند الثالث يتحدّث عن اعتراف الفريقَيْن بـ«تحقيق سلام وأمن دائمَيْن». هنا جانب آخر من وحي اتفاق 17 أيّار. كيف يمكن لنا الالتزام بالحديث الخطير عن سلام وأمن دائمين وهناك احتلال إسرائيلي مستمر ليس فقط لأرض فلسطين وسوريا بل أيضاً للبنان؟

تاسعاً، البند الرابع يعترف بحقّ الفريقَين في الدفاع عن النفس. لكن: متى كانت آخر مرّة دافع فيها لبنان عن نفسه بوجه عدوان إسرائيل. آخر مرّة مارس فيها لبنان حقّ الدفاع عن النفس كان في عهد الوطني إميل لحّود. أطلق ضابط رشقة رصاص دفاعاً عن النفس في 2010، فما كان من أميركا إلّا أن استدعت قائد الجيش، جان قهوجي، وأسمعَته كلاماً قاسياً وهدّدته بوقف كلّ المساعدات للجيش في حال أطلق أيُّ فرد رصاصةً ضدّ إسرائيل. ومنذ ذلك اليوم، لم يُطلِق أيُّ عنصر في الجيش اللّبناني رصاصة واحدة ضدّ أهداف إسرائيليّة رغم استمرار العدوان الإسرائيلي على لبنان (هذا البديل المفترض للمقاومة). هل اعترفت الحكومة الحالية بحقّ الجيش اللّبناني بالدفاع عن نفسه عندما تعرّض لعدوان من إسرائيل؟ لقد اعتدى العدوّ على مواقع للجيش حتى بعد أن وقّع هذا الاتفاق. أي إنّ إسرائيل وأميركا، وضمناً لبنان، حصروا حقّ الدفاع عن النفس بإسرائيل فقط. وبناء عليه، هي تستمرّ في تسجيل عشرات الخروقات للاتّفاق السيّئ الذِّكر.

عاشراً، تحدّد إسرائيل (في البند الخامس) للبنان من يحقّ له التواجد المسلّح في الجنوب. وهنا، هذا البند مستوحى أيضاً من 17 أيار، وكانت إسرائيل في المفاوضات تريد أن تسمّي الضباط اللّبنانيّين (وطوائفهم) من الذين يحقّ لهم التواجد في الجنوب. كيف سمح لبنان لإسرائيل بهذه الإملاءات؟

حادي عشر، يتحدّث البند السادس عن إشراف الحكومة المباشر على أيّ تصنيع أو توزيع للسلاح في لبنان. أي إنّ إسرائيل وأميركا باتتا مُشرفتَين على عمليّة صُنْع بنادق الصيد في الدولة اللّبنانيّة.

ثاني عشر، يحدّد البند السابع جدولاً أو تسلسلاً زمنيّاً لعمليّة الجيش اللّبناني لحماية أمن إسرائيل. ويعترف بصراحة أنّ ذلك سيبدأ بجنوب اللّيطاني ولن ينتهي فيه. إذ يقول «بدءاً من منطقة جنوب اللّيطاني» أي إنّ البند سيُطبّق على كلّ لبنان في مرحلة لاحقة. لقد تخلّى لبنان عن سيادته بالكامل، ليس فقط لأميركا بل لإسرائيل، في هذا الاتفاق الذي حوّل الجيش الوطني إلى حارس حدود لإسرائيل، تماماً كما كان المُراد في اتفاقيّة 17 أيار.

(يتبع)

* كاتب عربي

حسابه على اكس «@asadabukhalil»

تقارير الأمن الفرنسي عن التمويل الصهيوني المُبكر للإعلام [2/2]

تسكت عنا ندفع... تكتب معنا ندفع أكثر!

بدر الحاج *

تتقاطع معلومات جهاز الأمن الفرنسي عن اختراق الوكالة اليهودية للصحف اللبنانية والسورية مع المعلومات التي نشرها إلياهو ساسون في مذكراته «الطريق إلى السلام» الصادرة باللغة العبرية بعد موافقة الرقابة العسكرية عام 1978. وسوف أستند إلى ما جاء في تلك المذكرات حول هذا الموضوع كون ساسون أحد أبرز الذين تعاملوا مع أصحاب الصحف.

يذكر ساسون أنه كلّف خير الدين الأحدب بمهمات سياسية عندما كان يتولى رئاسة مجلس الوزراء. وهذا الموضوع لن أتطرق إليه بالتفصيل في هذه العجالة. لكن ملخص ما ذكره ساسون عن اجتماعاته العدة مع الأحدب أن الرجل كان يعمل بالإيجار لمصلحة الوكالة اليهودية، وأن جريدته «العهد الجديد» كانت تتلقى دعماً مالياً من الوكالة.

منذ مطلع القرن الماضي، بدأت الصحافة الصادرة في بيروت ودمشق والقاهرة تغطية الاصطدامات بين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود. وكان المناخ العام في بلاد الشام معادياً بشكل جذري لتهويد فلسطين. لذلك قرّرت الوكالة اليهودية تخصيص ميزانية لشراء أصحاب الصحف وإغرائهم بدفع مبالغ مالية لقاء التوقف عن مهاجمة الحركة الصهيونية. بعض تلك الصحف نشرت مقالات كتبها مسؤولون في القسم العربي في الوكالة اليهودية أمثال إلياهو ساسون، هدفها إبراز النواحي الإيجابية للحركة الصهيونية.

وفي كانون الأول 1919 أصدر ناشطون صهاينة جريدة عبرية - عربية في دمشق سميت «الشرق» بهدف إبراز النواحي الإيجابية للفكرة الصهيونية على أمل أن تكون الصحيفة «جسراً بين العرب والصهاينة». تولى الصهيوني الدمشقي الناشط موشي تسفي رئاسة تحرير الجريدة وتم شراء مطبعة باللغة العبرية من فلسطين. وأخذت الوكالة اليهودية على عاتقها تمويل الجريدة التي كانت توزع في حلب وبيروت ومصر وإسطنبول وبالطبع فلسطين.

أعطت وزارة الداخلية في الحكومة الفيصلية التي كان يتولاها رضا الصلح رخصة نشر الجريدة في مطلع أيار 1920، وصدر العدد الأول في مطلع تموز 1920. لكن صدورها أحدث صدمة في دمشق، إذ طالب عدد من أعضاء المؤتمر السوري بمنعها كونها تبث دعاية صهيونية. وساندت الطلب شخصيات سياسية بارزة. ولذلك أصدر وزير الحربية يوسف العظمة، قبيل أسبوعين من استشهاده في معركة ميسلون، أمراً بإقفال الجريدة. وبما أن أولويات الاحتلال الفرنسي بعد سقوط حكومة فيصل كانت مواجهة الوطنيين السوريين، فقد تم تجاهل الطلبات الصهيونية لإعادة إصدار الجريدة. ولذلك تحوّل الجهد الإعلامي الصهيوني أكثر فأكثر إلى شراء أصحاب بعض الصحف العربية.

وفي بداية عام 1920 اقترح كل من يهوشواع هانكين، مسؤول قسم شراء الأراضي في الوكالة اليهودية، ومساعده موشي شاريت، تأسيس جريدة عربية في مصر توزع مجاناً، وإصدار جريدة عربية في فلسطين، إضافة إلى تقديم مساعدات مالية لصحف عربية.

تم تنفيذ المخطط، وحصلت كل من جريدة «المقطم» في القاهرة وجريدة «المفيد» في دمشق وجريدة «الحقيقة» في بيروت على التمويل. وقد أشارت إلى ذلك الصحيفة الصهيونية «دار هايوم» الصادرة في فلسطين في شباط سنة 1920.

وخلال ثورة البراق عام 1929، رأت الوكالة اليهودية أن الصحف التي تصدر في بيروت ودمشق والقاهرة تؤيد نضال الشعب الفلسطيني ضد المستوطنين. لذلك كثّفت نشاطاتها، وعمدت إلى تخصيص ميزانية معينة يتولى كل من إلياهو ساسون وحاييم غالفارسكي توزيعها على بعض أصحاب الصحف مقابل نشر مقالات تؤيد الوجود اليهودي في فلسطين، وفي حال تعذّر النشر، يُستعاض بالتوقف عن مهاجمة نشاطات الصهاينة. وهذا ما رصدته أجهزة الأمن الفرنسية.

كان الرفض الشعبي في فلسطين والدول المجاورة في أوجه بعد ثورة البراق، لذلك وسّعت الوكالة اليهودية تحركاتها الإعلامية والسياسية في الأقطار العربية. وفي هذا السياق أسس الصهاينة عام 1934 في القاهرة وكالة أنباء باللغة العربية سميت «الشرق» بهدف اختراق الصحف العربية بطريقة غير مباشرة، وأسندت مسؤولية إدارتها إلى الناشط الصهيوني ناحوم زيلنسكي. وبدأت الوكالة تزويد الصحف العربية بالأخبار التي كانت تؤمنها لها الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية. وقد عززت «الشرق» حملاتها الإعلامية بموازاة ارتفاع حدة الرفض الشعبي للهجرة اليهودية. وكانت أخبار الوكالة تنشر في الصحف العربية ثم يقوم الصهاينة بترجمتها إلى اللغات الأجنبية بهدف التأثير على توجهات السياسيين والرأي العام في الدول الغربية على أساس أن الأخبار منشورة في صحف عربية.

وخلال الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939) كثفت الوكالة اليهودية اتصالاتها بالسياسيين وأصحاب الصحف العربية. يتحدّث ساسون بإسهاب عن علاقاته بالسياسيين السوريين واللبنانيين، وعن نجاحاته في شراء ولاء عدد من أصحاب الصحف. وكتب في تقرير في تاريخ 10 كانون الثاني 1938 عن اجتماعه مع إلياس حرفوش صاحب جريدة «الحديث» التي كانت تحصل على تمويل من الوكالة اليهودية. وأشار ساسون إلى أنه كلف حرفوش بمهمات سياسية.

أما عن اجتماعاته مع رئيس الحكومة اللبنانية خير الدين الأحدب، فيقول في تقرير في تاريخ 27 آذار 1938 ما يلي: «بدأت علاقاتي الودية معه قبل حوالى سنتين عندما جئت إليه آنذاك طالباً موافقته الرسمية كرئيس للحكومة اللبنانية على الاستيطان في حانيتا [من الغريب أن الصهاينة اشتروا حانيتا التي تبعد مئات الأمتار عن حدود لبنان في العام نفسه] قرب الحدود الشمالية».

وفي تقرير في تاريخ 22 أيار 1938 يذكر ساسون أنه التقى الأحدب مرة ثانية في مرفأ حيفا حيث كان في طريقه إلى باريس، وكلفه بمهمات سياسية عدة مع السلطات الفرنسية.

> الاختراق الصهيوني للإعلام العربي عامة والصحف اللبنانية خاصة كان واضحاً وعلى نطاق واسع (أحصى محمود محارب في بحثه 280 مقالاً مدسوساً في الصحافة العربية)

من ناحية أخرى، يشير الأكاديمي الفلسطيني محمود محارب، الذي اطلع على الأرشيف الصهيوني، في بحث نشرته مجلة «الدراسات الفلسطينية» العدد 78، عام 2009 إلى أن غالفارسكي زار بيروت في كانون الثاني 1930، واجتمع بالأحدب وطلب منه تقديم المساعدة للوكالة اليهودية بنشره مقالات موالية للصهيونية في جريدته. ثم سأله في نهاية الاجتماع عن المبلغ الذي يريده في مقابل خدمته هذه، فأجابه هذا أنه يريد 400 جنيه فلسطيني في السنة. وهو مبلغ اعتقد غالفارسكي أنه مبالغ فيه، «وبعد مفاوضات اتفقا على مبلغ 200 جنيه تدفع على أقساط كل ثلاثة أشهر».

وتتضمن مذكرات ساسون رسالة مؤرخة في 2 تشرين الثاني 1939 وجهها إلى موشيه شاريت رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية يبلغه فيها حصيلة زيارته إلى سوريا ولبنان. ومما جاء في الرسالة: «في بيروت التقيت خير الدين الأحدب مرتين، والتقيت ثلاث مرات مع إلياس حرفوش صاحب جريدة «الحديث»، وسمعان فرح سيف مرتين صاحب جريدة «مرآة الأحوال»، وأسعد عقل صاحب «البيرق» مرة واحدة».

ويضيف ساسون في رسالته: «خلال الأربعة أيام المنصرمة، نشرت في الصحف البيروتية التالية «الحديث»، «الاتحاد»، «لسان الحال»، «صوت الأحرار» ثماني مقالات ضد اشتراك أعضاء البرلمان اللبناني في المؤتمر البرلماني العربي. وذكرت في هذه المقالات أن النواب الذين سيشتركون في هذا المؤتمر إنما سيشتركون بصفة شخصية ولا يحق لهم التحدث باسم لبنان». وفي مقالة رئيسية طالبت «صوت الأحرار» المؤتمر باتخاذ قرارات «تقضي بوقف الاضطرابات في فلسطين». كما يشير إلى أن الياس حرفوش وعده بأن ينشر خلال اليومين القادمين مقالتين شديدتي اللهجة ضد المؤتمر والداعين إليه.

ويكشف ساسون في تقاريره إلى أنه دفع مبالغ إلى الصحف التالية: «الحديث»، «الأحوال»، «الاتحاد»، «لسان الحال»، «صوت الأحرار»، «النداء»، «العهد الجديد»، «بيروت»، «الرابطة»، «النهار»، «البيرق»، و«الأوريان»، و«لا سيري» الصادرتين باللغة الفرنسية... وغيرها.

وفي تقرير آخر في تاريخ 23 كانون الأول 1940 يقول عن زيارته بيروت: «رأيت بأم عيني أخبار النشرة اليومية التي تصدرها الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية منشورة في قسم كبير من صحف سوريا ولبنان، وفي أماكن بارزة وتحت عناوين ملائمة مع ذكر المصدر».

كانت النشرة اليومية التي يتحدث عنها ساسون من منشورات القسم العربي في الوكالة اليهودية، وكانت تصدر خمس مرات في الأسبوع وترسل مجاناً إلى الصحف والسياسيين ورجال الأعمال والوزارات والنواب في سوريا ولبنان والبلدان العربية.

وفي زيارة أخرى إلى لبنان وسوريا بعد دخول قوات الحلفاء البلدين، كتب تقريراً في تاريخ 11 آب 1941، ذكر فيه أنه حذّر من التفاهم من السياسيين اللبنانيين من أي تعاون مستقبلي مع سوريا، وأضاف: «وتوصلت إلى اتفاق مع ثلاث صحف لبنانية (لم يذكر أسماءها) بأن تكتب ضد أي تعاون كان مع السوريين، وأن لا يكتفوا بإقناع الموارنة بذلك بل السلطات الفرنسية والبريطانية أيضاً».

هذا باختصار شديد ما كان يجري قبل قيام دولة إسرائيل عام 1948. ولا مجال هنا لمزيد من الشرح الموسع. المؤكد أن الاختراق الصهيوني للإعلام العربي عامة والصحف اللبنانية خاصة كان واضحاً وعلى نطاق واسع (أحصى محمود محارب في بحثه 280 مقالاً مدسوساً في الصحافة العربية). في السابق كانت الوكالة اليهودية تموّل الصحف مقابل التوقف عن معاداة الحركة الصهيونية ونشر مقالات مؤيدة لها. أما اليوم وبعد تطور الإعلام وانتشار الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي بكثافة، فقد حلّ مكان التمويل الصهيوني تمويل عربي أو من دول في حلف «الناتو». هذا التمويل جعل الفضاء بغالبيته يكرر السردية الصهيونية للأحداث، وهكذا وفروا على الميزانية الصهيونية المال وتولوا هم اقتناء البشر. ومن يريد التأكد من ذلك فليراقب ما يبث وينشر في الإعلام الإبراهيمي الحالي.

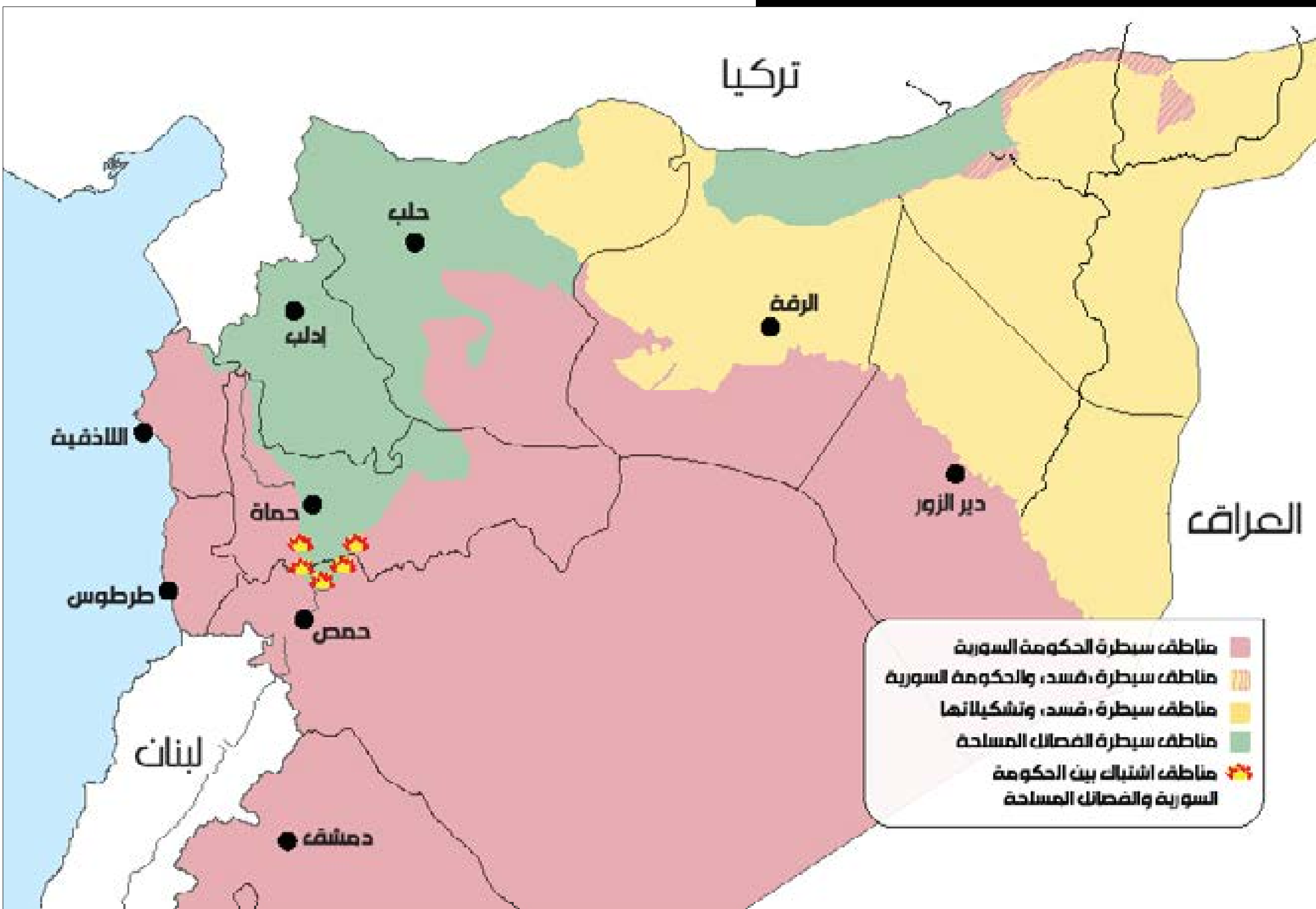
* كاتب لبناني

على الغلاف

تعويل روسي على «لقاء الدوحة»

الفوضى تتمدّد إلى الجنوب... وفصائل واشنطن تتحرك

خارطة سيطرة القوى المختلفة في سوريا حتى مساء امس



علاء حلبي

خيم هدوء حذر على جبهة حمص، وسط البلاد، بعد أن تقدمت الفصائل المسلحة التي تقودها «هيئة تحرير الشام» (جبهة النصرة – الفرع السابق لتنظيم القاعدة) وسيطرت على حماة، إثر انسحاب الجيش السوري الذي يحشد قواته على تخوم حمص. على أن هذا الهدوء الذي لم يستمر إلا نحو 12 ساعة، انقطع مع عودة الاشتباكات على تخوم حمص الشمالية، بعد أن أعلن الجيش السوري «تنفيذ عملية في اتجاه الدار الكبيرة وتلبيسة والرستن، بتغطية من الطيران السوري الروسي المشترك وقوات المدفعية والصواريخ والمدرعات». كما أعلن الجيش أنه «تم القضاء على عشرات الإرهابيين وسط حالة من الذعر والتخبط والفرار الجماعي في صفوفهم»، بالإضافة إلى «تدمير عدد كبير من آلياتهم وعتادهم وأسلحتهم»، بحسب بيان وزارة الدفاع.

ويأتي ذلك في وقت بدأت فيه مناطق في الجنوب السوري تشهد حالة فوضى، خصوصاً في درعا التي كانت دخلتها الحكومة السورية بموجب اتفاقية مصالحة عام 2018 بوساطة روسية، والسويداء التي تشهد منذ أكثر من عام تظاهرات متفاوتة. وفي هذا السياق، تشير مصادر أهلية في المحافظة، في حديثها إلى «الأخبار»، إلى أن المظاهر المسلحة انتشرت في الأرياف الشمالية والجنوبية، ووصلت إلى معبر «نصيب - جابر» الحدودي مع الأردن، قبل أن تعلن عمّان إغلاق المعبر، ووقف حركة العبور فيه إلا في حال عودة مواطنين أردنيين نحو بلادهم، وكذلك إرسال قوات عسكرية إلى المنطقة الحدودية مع سوريا. وبحسب المصادر، لا تزال أجهزة الحكومة موجودة في مدينة درعا، حتى لحظة كتابة هذا التقرير.

ومع اشتعال الأوضاع في سوريا، وبعد تهديدات أطلقها رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، بسبب موقف دمشق الداعم للمقاومة، أظهرت الحكومة الإسرائيلية اهتماماً كبيراً بمجريات الأحداث على الأرض، الأمر الذي تجلى بوضوح عبر تكثيف الاجتماعات الأمنية والحكومية، في وقت نفذت فيه طائرات إسرائيلية اعتداءات على الشريط الحدودي بين لبنان وسوريا، بينها اعتداء تسبب بتدمير معبر العريضة. وعلى إثر ذلك، أعلن الأمن العام اللبناني أنه قرر إغلاق المعابر البرية مع سوريا، والإبقاء على معبر المصنع الحدودي معها متاحاً، بسبب الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة.

يعقد وزراء خارجية الدول الضامنة لمسار «أستانا» اليوم اجتماعاً في الدوحة

وتزامنت تلك التطورات مع تحركات عسكرية في الشرق السوري، حيث قام الجيش السوري وبالاتفاق مع «قوات سوريا الديموقراطية» (قسد) بتنفيذ عمليات إعادة انتشار، تسلمت بموجبها الأخيرة بعض المناطق «الحساسة»، في حين أعلنت فصائل ما يعرف بـ«جيش سوريا الحرة» (فصائل عربية ممولة ومدربة من قبل واشنطن وتعتبرها دمشق وموسكو امتداداً لتنظيم داعش) التحرك من قاعدة التنف الأميركية غير الشرعية، عند المثلث الحدودي مع الأردن والعراق، نحو عمق البادية السورية. وعلى خط موازٍ، تبعت المعارك العنيفة التي شهدتها حماة خلال الأيام الثلاثة الماضية، قبل انسحاب الجيش السوري إلى ريف حمص، تحركات من قبل الفصائل التي فرضت سيطرتها على مناطق عديدة من دون قتال، بينها السلمية ومحردة، في وقت تمكنت فيه من دخول تلبيسة والرستن (منطقة مصالحات) والالتقاء مع الفصائل التي ظهرت فيها، لتصبح متمركزة على أبواب حمص الشمالية.

وعلى المستوى السياسي، سُجل تصعيد متجدد من قبل تركيا، التي أعلنت على لسان رئيسها، رجب طيب إردوغان، وقوفها وراء هذا التصعيد. وفي تصريحات إلى الصحافيين بعد صلاة الجمعة، قال إردوغان إنه وجّه دعوة إلى نظيره السوري، بشار الأسد، «من أجل تحديد مصير سوريا، لكن للأسف لم نتلقَ رداً إيجابياً»، في إشارة إلى إعلان أنقرة رغبتها في إجراء لقاء مع الأسد، الذي رفض القيام بذلك من دون وضع أسس واضحة، تتضمن خطة لانسحاب القوات التركية غير الشرعية من سوريا، ووقف تركيا دعمها للفصائل، وتحديد الفصائل «الإرهابية». وخلال حديثه، أشار أردوغان إلى أن المعارضة السورية تسيطر حالياً على مناطق واسعة، قائلاً: «في الوقت الحالي، إدلب تحت سيطرة المعارضة، وبعدها حمص، وهناك تقدم في اتجاه دمشق». وأضاف: «نأمل أن يستمر هذا التقدم دون وقوع كوارث أو مشكلات إضافية». ومن جهته، أطل أبو محمد الجولاني (زعيم هيئة تحرير الشام)، الذي تخلى عن لقبه واستعاد اسمه الحقيقي (أحمد الشرع)، في لقاء تلفزيوني مع قناة «CNN» الأميركية، التي قامت مراسلتها أيضاً بإجراء جولة في حلب وبعض مناطق إدلب، علماً أن واشنطن تضع «الجولاني» على لوائح الإرهاب. وخلال اللقاء، الذي يأتي في سياق عملية تبييض صفحة الرجل، ظهر «الجولاني» بزي عسكري مشابه للزي الذي يرتديه الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلنسكي، وأعلن أن الحرب الجارية هدفها إسقاط النظام، وبدء مرحلة جديدة.

وعلى خط موازٍ، وفي سياق جهودها السياسية المتواصلة لاحتواء التصعيد الحاصل، استضافت بغداد لقاءً وزارياً ثلاثياً عراقياً - سورياً - إيرانياً. وقال وزير الخارجية السوري، بسام الصباغ، عقب اللقاء: «شرحت التطورات الميدانية والتهديدات الأمنية والظروف الإنسانية جراء الهجوم الإرهابي الذي تسبب بموجة نزوح كبيرة»، مضيفاً أن «الجهات التي تقف وراء الهجوم الإرهابي تنتهك بشكل واضح قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة بمكافحة الإرهاب واتفاقات مسار أستانا». وجاء الاجتماع الذي استضافته بغداد قبل يوم واحد فقط من لقاء ثلاثي مقرر لوزراء خارجية الدول الضامنة لمسار «أستانا» (روسيا وإيران وتركيا)، في العاصمة القطرية الدوحة، اليوم. وتعول روسيا، وفق تصريحات مسؤوليها، بشكل كبير على هذا اللقاء من أجل تحقيق التهدئة، الأمر الذي عبر عنه وزير الخارجية الروسي، سيرغيه لافروف، خلال تصريحات صحافية، أشار خلالها إلى أن الوضع في سوريا شديد التعقيد. وقال: «هذه لعبة معقدة، هناك العديد من الجهات الفاعلة المعنية، وآمل أن يساعد الاجتماع في استقرار الوضع»، مضيفاً «(أننا) سنناقش ضرورة العودة إلى التنفيذ الحازم للاتفاقات في منطقة إدلب». وتابع أن «الاجتماع سيتناول بالتفصيل الوضع السوري، مع التركيز على إعادة تقييم التطورات الحالية ضمن مبادئ عملية أستانا».

بموافقة دمشق... «قسد» تنتشر على طريق حمص - دير الزور



ألمح عبدي إلى أن هجوم «هيئة تحرير الشام» يحصل بإشراف أميركي (أ ف ب)

الحسكة - أيهم مرعي

بدأت «قوات سوريا الديمقراطية» (قسد) نشر قواتها على امتداد طريق حمص - دير الزور، وصولاً إلى البادية السورية، بالتوازي مع وجود الجيش السوري هناك، من دون أن يحدث ذلك تغييراً في واقع المنطقة الإداري، والذي لا تزال تديره الحكومة السورية. وأعلن «مجلس دير الزور» العسكري التابع لـ«قسد»، في بيان، أن «التطورات الأخيرة التي تحصل في وطننا سوريا تشكل خطراً على أمن شعبنا ومنطقتنا في دير الزور، خاصة من المجموعات المرتزقة المدعومة من تركيا، ومرتزقة داعش»، لافتاً إلى أن قواته «بدأت الانتشار في مدينة دير الزور وغرب الفرات، بهدف الحفاظ على أمن المنطقة». وبالفعل، دخلت أرتال «قسد» من معبر الصالحية والقرى السبع شمال نهر الفرات، في اتجاه طريق حمص - دير الزور، بالاتفاق مع الجيش السوري، بهدف تثبيت نقاط فيها إلى جانب نقاط الأخير والقوات الأمنية، مع عدم تثبيت أي نقطة أو موقع داخل مدينة دير الزور.

من جهتها، تؤكّد مصادر حكومية، في حديث إلى «الأخبار»، أن «انتشار قسد جاء بالاتفاق مع الجيش العربي السوري، ولم يغيّر في الواقع الإداري للمدينة»، مؤكدة أن «مؤسسات الدولة من أجهزة شرطة وأمن وجهات خدمية تعمل كالمعتاد، وسط استمرار تواجد المحافظ وقائد الشرطة كشخصيات اعتبارية تمثل استمرار وجود الدولة السورية في المنطقة». وفي السياق نفسه، تشير مصادر مطّلعة إلى أن هذا الانتشار «جاء بعد توافق روسي - أميركي وبموافقة من دمشق، لتمكين الجيش السوري من رصد نشاط خلايا داعش، في وقت جرى فيه التخلي عن قسم من القوات لإرسالها لتعزيز جبهة حمص

أبدت «قسد» استعدادها للحوار مع تركيا لـ«حل كل القضايا الخلافية»

ودمشق في وجه هجمات «هيئة تحرير الشام»»، مبيّنةً أن الانتشار «سيكون في محورين: جنوبي غربي وصولاً إلى أطراف السخنة، وجنوبي شرقي من شرق مطار دير الزور في اتجاه الميادين والبوكمال وعمق البادية المرتبطة بمنطقة T3 وT4 على الحدود الإدارية بين حمص ودير الزور». كما ترجّح المصادر أن «تلجأ الولايات المتحدة إلى تحريك جبهة منطقة «التنف» عبر ربط مناطق سيطرة فصائل ما يعرف بـ»جيش سوريا الحرة» بمناطق انتشار «قسد» الأخيرة لإغلاق الحدود بين سوريا والعراق».

من جهة أخرى، ألمح القائد العام لـ«قسد»، مظلوم عبدي، إلى أن الهجوم الذي تقوده «هيئة تحرير الشام» على الجيش السوري، يحصل بتنسيق وإشراف أميركييْن، وذلك من خلال تأكيده أن «عملية انسحاب «قسد» من تل رفعت مع الأهالي تمت بالتنسيق بين الأميركيين و»هيئة تحرير الشام»»، معلناً أن «لدى «قسد» قنوات تواصل واتصال مع «الهيئة»، ونراقب عن كثب تطبيقها لوعودها»، في إشارة إلى تعهدات من مسلحيها بعدم التعرض للأكراد في حلب. وإذ طالب عبدي «الجانب التركي بخفض التوتر»، فهو أبدى «استعداد «قسد» للحوار مع تركيا لحل كل القضايا الخلافية»، لافتاً إلى «وجود وساطة روسية - أميركية» بهذا الشأن.

ميدانياً، توقّفت الاشتباكات بين «قسد» وفصائل عملية «فجر الحرية» التي يقودها «الجيش الوطني» المدعوم من تركيا، في ريف حلب الشمالي الشرقي، وسط أنباء عن إنذارات تركية لـ«قسد» بضرورة إخلاء مدينة منبج وريفها، والتراجع في اتجاه مناطق شرق الفرات، وهو ما أشار إليه عبدي بقوله إن «المحاولات التركية مستمرة لتهديد منبج وشمال شرق سوريا»، مؤكداً، في الوقت نفسه، أن «لدينا القوة الكافية لردع أي عدوان تركي على مناطقنا». وفي هذا الإطار، تؤكد مصادر ميدانية، لـ«الأخبار»، أن «قسد» حرّكت «وساطة أميركية بهدف الإفراج عن عدد من عناصرها وبينهم نساء، تمّ اعتقالهم أثناء خروجهم مع نحو 15 مدنياً من تل رفعت، من قِبل فصائل «الجيش الوطني»»، مشيرة إلى أن ««هيئة تحرير الشام» لا تريد قتال «قسد» حالياً، وتركت المهمة لفصائل «فجر الحرية» التي تقودها فصائل «الجيش الوطني»».

«ثلاثية أستانا» تلتئم اليوم

تركيا ترفع سقف طموحاتها

محمد نور الدين

عاد خطاب الإملاء الذي مارسته تركيا على سوريا في بداية الأحداث عام 2011، إلى الظهور مجدّداً على إثر التطورات الأخيرة، عبر دعوة النظام إلى إدراك شروط المصالحة الداخلية، وفي مقدّمها تلبية «المطالب المشروعة للشعب السوري»، وتحميله مسؤولية انفجار الوضع، بسبب عدم اهتمامه بالمسار السياسي للحلّ. وفي المقابل، تتنصّل أنقرة بالكامل من مسؤوليتها في دعم الفصائل المسلحة، حتى إن الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، أعلن أن المرحلة الجديدة في سوريا «تُدار بهدوء»، وسط محاولات لتلميع صورة زعيم «هيئة تحرير الشام»، «أبو محمد الجولاني»، من جانب الولايات المتحدة وتركيا. ويأتي ذلك كله مع بدء ثلاثية أستانا اجتماعاتها، اليوم وغداً، في الدوحة، بمشاركة قطر.

وفي حوار مع صحيفة «حرييات»، قال رئيس «الائتلاف الوطني» المعارض، هادي البحرة، الذي كان رئيس وفد المعارضة في محادثات جنيف للسلام في سوريا عام 2016، إن «الأولوية الآن للعمليات العسكرية، والهدف منها جلْب الرئيس السوري، بشار الأسد، إلى طاولة التفاوض، والانتقال السياسي نحو النظام الديمقراطي، ومن ثمّ خلق بيئة مناسبة لعودة اللاجئين». وأضاف أن الهدف هو تطبيق القرار 2254 الذي أقرّه مجلس الأمن الدولي، في 18 كانون الأول 2015، لافتاً إلى أنه لا يتخوّف من اندلاع نزاعات مع «هيئة تحرير الشام»، فـ«الكلّ متّفق على تحرير سوريا، والمعارضة ستشكّل إدارة ذاتية لحكم حلب».

وإلى صحيفة «جمهورييات»، تحدّث رئيس «الحكومة المؤقتة» التابعة لـ«الائتلاف»، عبد الرحمن مصطفى، قائلاً إن تركيا «وفّرت للمعارضة الأرضية السياسية لعملياتها ضدّ قوات النظام»، مشيراً إلى أن «حلب وكل ريفها الشمالي الشرقي ما عدا منبج، قد تم تحريرهما للمرّة الأولى منذ بداية الحرب». كما لفت إلى أن «تركيا تقف إلى جانب الشعب السوري بالكامل وحتى النهاية، وإيران والقوى الحليفة لها تعرّضت للخسارة، فيما روسيا ليست في وارد التدخّل المؤثّر إلى جانب النظام».

وكتب سادات إرغين، بدوره، في «حرييات»، عن العلاقات التركية - الإيرانية، والتي قال إنها «وُضعت تحت الضغط الشديد» بعد اندلاع الأحداث. وبيّن أن محادثات وزير الخارجية الإيراني، عباس عرقجي، في أنقرة، «أظهرت التباين الكبير بين البلدين في الموقف من سوريا»، مشيراً إلى أن وزير الخارجية التركي، حاقان فيدان، اتّهم طهران بتجاهل الحقائق عندما قال لنظيره الإيراني إنه «سيكون من الخطأ في هذه المرحلة تفسير ما يحدث في سوريا على أنه تدخّل خارجي. وهذا خطأ مَن لا يريدون أن يفهموا الحقائق المرتبطة بسوريا». وأضاف فيدان: «كان من الخطأ تجاهل المطالب المشروعة للمعارضة، والنظام لم يشارك بإخلاص في العملية السياسية». ووفقاً لإرغين، فإن «الخلاف الأساسي بين تركيا وإيران مرتبط بأسباب الأزمة في سوريا. فطهران تردّ الأزمة إلى التدخّل الأميركي والإسرائيلي وتفجير الوضع عبر الجماعات المسلحة لحرف الأنظار عن الوضع في غزة وتغطية جرائم إسرائيل. وبالتالي، فإن الولايات المتحدة وإسرائيل تقفان خلف عمليات جبهة تحرير الشام ضدّ حلب وحماة وغيرهما من المناطق الواقعة تحت سيطرة النظام».

أمّا السبب الثاني للخلاف، فهو تصريحات مستشار المرشد الأعلى، علي أكبر ولايتي، والتي انتقد فيها أنقرة، قائلاً: «كان مفاجئاً أن تسقط تركيا في الفخ الذي نصبته أميركا وإسرائيل». ورأى إرغين أن ذلك «كلام كبير من مستشار الشخصية الأقوى في إيران. ولذا، نرى هذا الانزعاج الإيراني الكبير ممّا حدث في حلب، وهي التي قدّمت الدعم السياسي والعسكري للأسد خلال أعوام الحرب ليبقى واقفاً على قدميه؛ فأرسل حزب الله عناصره إلى سوريا، وأرسلت إيران قواتها أيضاً لتعضد الأسد، فيما كانت إسرائيل تقصف بصورة دورية التواجد العسكري الإيراني في سوريا». وأشار الكاتب إلى أن طهران لم تدعم عملية المصالحة بين إردوغان والأسد، بل «يمكن القول إنها عملت على عرقلتها، وفيدان كان صرّح في 22 تشرين الثاني الماضي، بأن التطبيع بين تركيا وسوريا ليس من أولويات إيران»، إذ «لعلّها كانت تعتبر أن التطبيع بين البلدين سيقلّل من الحاجة إليها في سوريا. فيدان كان يرى أن مسار أستانا مع روسيا وإيران لعب دوراً مهمّاً في وقف التوتر والنزاعات في سوريا عند نقطة معينة. لكنّ الهدوء الذي ساد، لم يُترجم لاحقاً إلى خطوات لحلّ سلمي. وبالتالي، خرجت أستانا عن كونها صالحة لإدارة الوضع. وهذا يعطي اجتماع الدوحة أهمية كبيرة حول الخطوات المقبلة في الأزمة السورية ومصير الاتفاقات. وفي ظلّ الضغط الذي تتعرّض له العلاقات التركية - الإيرانية، ستشكّل الأيام المقبلة اختباراً مثيراً للاتجاه الذي ستسلكه هذه العلاقات».

أولوية تركيا هي ضمان السلام والاستقرار في إطار وحدة الأراضي السورية

أعلن إردوغان أن المرحلة الجديدة في سوريا «تُدار بهدوء»، وسط محاولات لتلميع صورة «الجولاني» (أ ف ب)

من جهته، كتب عبد القادر سيلفي، في صحيفة «حرييات»، عن العلاقات التركية - الإيرانية أيضاً، لافتاً إلى أن «أنقرة تحمّل دمشق وطهران مسؤولية انفجار الوضع في 27 تشرين الثاني الماضي. والتباين كان واضحاً مع زيارة عراقجي إلى أنقرة، إذ اتّهم تركيا بالمسؤولية عن الأحداث، ليردّ عليه فيدان بأن تركيا لا تقوم بعمليات عسكرية سرّية. ولكن من الطبيعي في ظلّ وجود حدود بطول 911 كيلومتراً مع سوريا، وتعرُّضنا لهجمات إرهابية، أن نكون معنيين بما يجري هناك. أنتم لا تساهمون أبداً في جهود تحقيق السلام في سوريا». وعدّد سيلفي عناصر الموقف التركي من سوريا على النحو التالي:

1- إن كل أنواع عدم الاستقرار في سوريا، بما في ذلك الإرهاب، تؤثّر على تركيا.
2- أولوية تركيا هي ضمان السلام والاستقرار في إطار وحدة الأراضي السورية.
3- بهذا المفهوم، تدعو تركيا إلى تلبية مطالب الشعب السوري «المشروعة».
4- ترى تركيا أن عملية أستانا يجب أن تولي هذا الأمر أولوية.
5- كما ترى ضرورة إعطاء أولوية لمنطقة إدلب باعتبارها منطقة خفض تصعيد.
6- تركيا لا تدعم التنظيمات المسلحة، لذا، فهي منزعجة ممّا يجري.
7- تدعو تركيا إلى منع تصاعد العنف كي يمكن مواجهة الخطر الإسرائيلي.
8- يدعو إردوغان سوريا إلى بدء الحوار السياسي.
9- تركيا مصمّمة على مكافحة إرهاب «حزب العمال الكردستاني» حتى النهاية.
10- إن أساس الحلّ هو تطبيق القرار 2254.
11- عودة اللاجئين طوعاً وبصورة آمنة إلى بلادهم.

في هذا الوقت، بدأ الإعلام الموالي حملةً لتلميع صورة الجولاني، وتقديمه على أنه معتدل يمكن له قيادة الحوار مع دمشق، على الرغم من أن منظّمته لا تزال مُدرجة ضمن قوائم الإرهاب التركية. وبحسب الكاتبة نيلغون تيكفيدان غوموش الموالية، فإن «السفير الأميركي السابق لدى سوريا، روبرت فورد، قال إن هيئة تحرير الشام تغيّرت وهي تدير ملايين الناس في إدلب. لم تعد الهيئة كالسابق. وعندما ضغطت أنا في عام 2012 لإدراجها ضمن قوائم الإرهاب، لم يكن ذلك عبثيّاً، كونها كانت أحد أفرع تنظيم القاعدة في سوريا والعراق». وأضافت الكاتبة أن «الذين يفكرون الآن في الغرب، بأن هيئة تحرير الشام أصبحت معتدلة وتتعاون مع بقية فصائل المعارضة قد ازداد عددهم. الهيئة والولايات المتحدة أمام فرصة للتعاون مع وصول دونالد ترامب إلى الرئاسة، فيما يزداد مأزق الأسد. الأمل هو في ثلاثية أستانا لتجد مخرجاً وحلّاً للأزمة».

أما سرتاتش إيش، في «جمهورييات»، فيرى أن «تركيا لا حليف لها في الشرق الأوسط، ولم ينجح حزب العدالة والتنمية في كسب أيّ حليف، على رغم الجهود الدبلوماسية التي بذلها. فقد تخلّى عنه حلفاؤه في حلف شمال الأطلسي. والولايات المتحدة تدعم حزب العمال الكردستاني. وعملية أستانا مع روسيا وإيران فشلت، ولا يمكن إنكار الخلاف مع هاتين الدولتين». لذلك، بحسب الكاتب، «لا يبقى لتركيا سوى سوريا الموحّدة. لكن هذا المطلب يضعف يوماً بعد يوم. والجميع في انتظار ترامب. المشكلة أن الممثلين للسياسة التركية تنقصهم منذ وقت طويل ثقافة الجيوبوليتيك».

على الغلاف

اجتماع بغداد يقدّم الديبلوماسية

مبادرة عراقية تجاه تركيا



اجتماع الوزراء الثلاثة لم ينتج اتفاقاً واضحاً على كيفية التعامل مع أحداث سوريا (أ ف ب)

بغداد - **فقار فاضل**

ناقش وزراء خارجية كلّ من العراق: فؤاد حسين، وإيران عباس عراقجي، وسوريا بسام الصباغ، في اجتماعهم في بغداد، أمس، مبادرة دولية يرعاها العراق لحل الأزمة السورية، وفق ما أكد مصدر مقرب من الحكومة العراقية لـ«الأخبار». أما على المستوى الرسمي، فخرج الاجتماع بتشديد على ضرورة تنسيق مواقف الدول ودعم سوريا، لأن حالة عدم الأمن في هذه الأخيرة تمثل تهديداً لأمن الدول الثلاث وغيرها. وعقب الاجتماع، أشار حسين، في مؤتمر صحافي مشترك، إلى أن «أمن المنطقة لا يمكن تحقيقه بالوسائل العسكرية وحدها، بل من خلال الدور الديبلوماسي»، فيما أكد عراقجي أن «مشاوراتنا مع العراق مستمرة، وحالة عدم الأمن في سوريا تمثّل تهديداً لأمن جميع دول المنطقة». ورأى أن «الجماعات الإرهابية وضعت خطة لإثارة الفوضى في المنطقة بدعم أميركا والكيان الصهيوني»، مضيفاً أن «دعم جميع دول المنطقة للحكومتين السورية والعراقية في محاربة الإرهاب أمر ضروري وحيوي». وفي السياق نفسه، كشف المصدر المقرب من الحكومة العراقية أن «الغاية من الاجتماع الثلاثي هي

> **بغداد تخشى إطلاق الإرهابيين من سجون مخيم الهول**

وضع أطر ديبلوماسية واضحة للتعاطي مع الأحداث الحالية»، مضيفاً أن «وزير خارجية سوريا جاء لكسب الدعم للنظام، من دولتين جارتين هما: العراق وإيران، فضلاً عن تحذير البلدين من خطورة تمرّد تلك المجموعات المسلحة التي تريد إعادة المنطقة إلى فترة تنظيم داعش الإرهابي». وأشار المصدر إلى أنه «تمت مناقشة مبادرة دولية يرعاها العراق خلال الفترة المقبلة، عبر قنوات الحوار وخاصة مع الدولة التركية ورئيسها رجب طيب إردوغان».

بدوره، رأى المتحدث باسم الحكومة العراقية، باسم العوادي، في تصريحات صحافية، أن «القضية السورية هي قضية أمن قومي عراقي، ويجب أن يفهم العراق ما الذي يدور في سوريا. وقد قمنا بإغلاق الحدود مع سوريا وتعزيز القوات على طولها»، مشيراً إلى أن «السلطات العراقية بدأت حراكاً ديبلوماسياً مع سوريا وروسيا والولايات المتحدة وإيران، بهدف احتواء الأزمة». وشدّد على أنه «لا يوجد أي حديث عن تقسيم سوريا، وهذا الأمر خط أحمر بالنسبة إلى العراق»، نافياً أن «تكون سوريا قد طلبت مساعدة عسكرية»، لكنه قال إن دمشق «أوضحت لنا خطورة الوضع، ونحن نتفاعل معها».

وحذّر العوادي من أن «سجون الإرهابيين في مخيم الهول تمثل تهديداً للعراق، ولدينا خشية من إطلاق سراحهم»، مشيراً إلى أنه «قبل هذه التطورات المتسارعة، كانت هناك مشاركة فعلية من إسرائيل في ضرب سواتر الجيش السوري».

في الإطار عينه، رأى النائب عن «كتلة بدر» النيابية، معين الكاظمي، أن «ما يحدث في سوريا ينذر بخطر كبير على المنطقة»، مبيّناً، في تصريح لـ«الأخبار»، أن «الاجتماع الثلاثي هو جزء من سياسة الحكومة العراقية بالتشاور مع جيرانها لحل الأزمات، وخاصة أن الجميع يدرك خطورة عودة الإرهاب والجماعات المتشدّدة، أي بمعنى عودة سيناريو عام 2014 وسيطرة داعش على تلك المناطق». ولفت إلى أن «الأجهزة الأمنية والحشد الشعبي يمسكون بالحدود بقوة، ولم تكن هناك خروقات أو محاولات عبور إلى العراق لإثارة الفوضى»، معتبراً أن «الولايات المتحدة والكيان الصهيوني هما المحرّكان الرئيسيّان لتلك المجاميع الإرهابية، فضلاً عن أطماع الرئيس التركي في سوريا والعراق».

أما السياسي العراقي، جمعة المطلك، فرأى أن «تراجع الجيش السوري بهذه السهولة يعطي مؤشرات خطيرة جداً على انهيار الأمن في المنطقة. لذا، فإن فرصة اجتماع وزراء خارجية إيران والعراق وسوريا مهمة جداً للتحاور من أجل وضع حلول أو توحيد المواقف لمواجهة تلك التكتلات الطائفية». وقال، لـ«الأخبار»، إن «ما يحدث في سوريا يهدّد المنطقة ككل، وعليه، فإن التنسيق المشترك قد يقلّل من حجم وخطر تحرّكات تلك الفصائل المعارضة داخل سوريا. وبلا أدنى شك، هناك دعم من قبل إسرائيل وأميركا لها لغرض إشاعة الفوضى في المنطقة». وحذّر «من مغبة الانحياز أو الانخراط مع طرف معين ضد طرف، حتى لا تضع البلاد نفسها في بركان الأزمة أو تخسر أمنها واستقرارها».

عراقجي يستكمل جولته الإقليمية: حذارِ استحالة سوريا «قاعدة للإرهاب»

طهران - **محمد خواجوئي**

استضافت العاصمة العراقية، بغداد، أمس، مشاورات إقليمية حول سوريا، ضمّت وزراء خارجية كلّ من إيران عباس عراقجي، وسوريا بسام الصباغ، والعراق فؤاد حسين، وذلك بهدف التنسيق على الصعيدَين السياسي والدبلوماسي في ضوء التطورات السورية. وشدّد المسؤولون العراقيون، الذين يخشون من جهتهم عودة «شبح الإرهاب» إلى بلادهم، في اجتماعات منفصلة مع وزيرَي خارجية إيران وسوريا، على ضرورة الحفاظ على وحدة الأراضي السورية، ومواصلة المشاورات لمنع تكرار تجارب الماضي.

وأكّد رئيس الوزراء العراقي، محمد شياع السوداني، أن «ما يحدث في سوريا لا ينفصل عمّا شهده قطاع غزة ولبنان من أحداث تسبّبت بتهديد أمن المنطقة وزعزعة استقرارها». وجدّد السوداني، خلال لقائه وزير الخارجية الإيراني، أمس، موقف بلاده الثابت من وحدة سوريا وأمنها واستقرارها، مشيراً إلى أن بغداد ستواصل بذل الجهود الدبلوماسية الحثيثة في سبيل احتواء الأزمة في سوريا، لتأثيرها الصريح على الأمن العراقي. كذلك، أفادت وزارة الخارجية العراقية بأن الوزير فؤاد حسين بحث مع الصباغ التطوّرات الأمنية في سوريا، وسبل التعاون المشترك. ونقلت عن حسين قوله إن «بغداد تتابع المستجدات في سوريا باهتمام كبير لِما لها من تأثير مباشر على أمن المنطقة واستقرارها».

وفي السياق نفسه، شدّد الرئيس العراقي، عبد اللطيف جمال رشيد، على «ضرورة تكثيف الجهود والتنسيق المشترك للوصول إلى حالة الأمن والاستقرار في المنطقة، وحفظ وحدة وسيادة سوريا وسلامة أبنائها». وأكّد رشيد، خلال استقباله عراقجي والوفد المرافق له، موقف العراق الداعم لترسيخ الاستقرار في المنطقة، وجهوده الرامية إلى منع توسّع دائرة الصراع، مشدّداً على ضرورة وضْع خطة مدروسة لمنع تداعيات الأحداث المتسارعة في المنطقة. وأشار إلى أن تطوّرات الأحداث في سوريا وانعكاساتها على المنطقة ككلّ، هي موضع اهتمام شديد، مبيّناً دور العراق الثابت في تعزيز السلم والأمن الدوليَّين. ومن جهته، أكّد رئيس هيئة «الحشد الشعبي» في العراق، فالح الفياض، في تصريح أمس، أنه «لا يمكن لنا غضّ الطرف عندما تتحكّم بسوريا الجماعات الإرهابية المدعومة بأجندات خارجية وتدخّلات غربية، والترويج لعصابات داعش». وأضاف أن «العراق، وإن لم يكن طرفاً في الأزمة، فإن عليه الوقاية في ظلّ ما يجري في دولة مجاورة له، وسوريا تمثّل مجالنا الأمني الحيوي الذي لا يمكن فصله عن العراق، وكل مَن يقول غير ذلك واهم».

> **الفياض: «سوريا تمثّل مجالنا الأمني الحيوي الذي لا يمكن فصله عن العراق»**

أما عراقجي، الذي زار العراق أمس، استكمالاً لجولته التي شملت إلى الآن كلّاً من دمشق وأنقرة، فأشار إلى ضرورة مواصلة المشاورات من أجل التوصّل إلى حلّ. وقال الوزير الإيراني، قبيل انطلاق الاجتماع الثلاثي مع نظيرَيه العراقي والسوري في بغداد، للصحافيين، إن «الوضع في المنطقة، وخاصة في سوريا، حسّاس للغاية، وهذا يتطلّب التشاور والتنسيق بين كل الدول المعنية». وأضاف أن «الغرض من هذه الاجتماعات هو خلق منصّة لاتخاذ قرار مشترك لحلّ الأزمات». كما حذّر عراقجي، خلال لقائه رئيس الوزراء العراقي، من أن «عدم اهتمام دول المنطقة بمحاربة الإرهاب واستئصال جذوره في سوريا، سيجعل هذا البلد قاعدة للجماعات الإرهابية في جميع أنحاء المنطقة»، مؤكداً أن «دعم كل دول المنطقة لسوريا والعراق أمر ضروري وحيوي لمحاربة الإرهابيين وهزيمتهم». كذلك، أشار بعد لقائه الرئيس العراقي إلى أن «إيران مستعدّة لدعم سوريا حكومة وشعباً وجيشاً بالقدر اللازم».

ومن المقرّر أن يزور وزير الخارجية الإيراني الدوحة وموسكو خلال الأيام المقبلة، في حين يرى مراقبون أن اجتماع الدول الثلاث الضامنة لعملية أستانا، سيكون له دور مهمّ في تطوّرات مستقبل سوريا.

تناقضات أميركية حيال سوريا: ترامب لا «يفضّل» الإرهابيين

ريم هاني

على ضوء الإشارات المتضاربة الصادرة عن واشنطن إزاء التطورات الأخيرة على الساحة السورية، لا يزال من الصعب تخيّل السياسة التي سينتهجها الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، تجاه سوريا، ولا سيما أنّ الأخير لمّح، في غير محطة، إلى نيّته سحب القوات الأميركية من سوريا، وعيّن، في المقابل، فور فوزه، صقوره الداعمين لإسرائيل لصياغة السياسة الخارجية للولايات المتحدة. وفي هذا السياق، تلفت مجلة «ريسبونسبل ستيت كرافت» إلى أنّ موقف واشنطن بشأن ما يحدث في سوريا يكشف «حالة الإرباك» التي طبعت السياسة الأميركية منذ بدء الحرب هناك قبل أكثر من عقد؛ ففي مقابلة مع شبكة «سي أن أن» الأميركية، أعرب مستشار الأمن القومي، جيك سوليفان، عن مخاوفه بشأن «هيئة تحرير الشام»، مشيراً، في المقابل، إلى أنّ واشنطن لا تنظر إلى الأحداث في سوريا «من منظور سلبي»، قائلاً: «لن نتباكى عندما تتعرض حكومة بشار الأسد، المدعومة من روسيا وإيران وحزب الله، لأنواع معينة من الضغوط». وتتابع المجلة أنّ آلية تعامل الإدارة الجمهورية القادمة هي محط «تخمين» بالنسبة إلى كثير من المراقبين، ولا سيما أنّ الرئيس المنتخب اختار أقوى المؤيدين لإسرائيل لشغل مناصب عليا في حكومته، ما يجعل من المرجح أنّ سياسته القادمة تجاه دمشق ستُحدَّد، إلى حدّ كبير، «بناءً على تفضيلات تل أبيب». وفي حال حصول ذلك، قد يتمثل نهج واشنطن في إضعاف الأسد، وربما الإطاحة به من السلطة، نظراً إلى تحالف الأخيرة مع طهران، التي تعدّ «العدو الأول بالنسبة إلى إسرائيل».

أقر تقرير «معهد تشاتام هاوس» بقدرات «هيئة تحرير الشام» غير «الكافية» لـ«الإطاحة» بالنظام السوري (أ ف ب)

على أنّه على الضفة المقابلة، تشير تصريحات ترامب السابقة إلى أنه قد يختار اتباع مسار مختلف، ولا سيما أنّه من المتوقع، على نطاق واسع، أن يقود هو، بنفسه، السياسة الخارجية لبلاده، وهو ما دفعه إلى اختيار أقرب المقربين إليه لتولي تلك المناصب بالدرجة الأولى. وفي حديثه خلال حملته الانتخابية عام 2016، رأى ترامب أنّ «القوات السلفية الجهادية تشكل تهديداً أكبر على المصالح الأميركية من الأسد وإيران»، قائلاً: «أنا لا أحب الأسد على الإطلاق، لكن الأسد يقتل (داعش). روسيا تقتل (داعش) وإيران تقتل (داعش)». كما أن ترامب وصف، في وقت سابق، سوريا بأنّها «رمال، وموت»، وذلك لتدعيم وجهة نظره بضرورة سحب القوات الأميركية من هناك. وإذ يذكّر تقرير في «بوليتيكو» بتلك المواقف، فهو يدعو إلى التركيز على «التناقضات» في أوساط كبار مسؤولي إدارة ترامب بشأن سوريا؛ إذ سبق أن أكد تولسي غابرد، الذي اختاره الرئيس المنتخب لمنصب مدير المخابرات الوطنية، أنّ الأسد «ليس عدواً للولايات المتحدة»، في حين أنّ الشخصيتين اللتين اختارهما لمنصبي وزير الخارجية ومستشار الأمن القومي، أي السناتور ماركو روبيو، والنائب مايك والتز، كانتا متشككتين في انسحاب الولايات المتحدة من سوريا، ودعتا في المقابل، إلى مزيد من التدخل الأميركي بذريعة «إحباط عودة الجماعات الإرهابية، مثل (داعش)».

> **وصف ترامب سوريا سابقاً بأنّها «رمال وموت»، وذلك لتدعيم موقفه بشأن سحب القوات الأميركية منها**

وفي محاولة لـ«استشراف» الوضع، يورد «معهد تشاتام هاوس» تقريراً يقر فيه بقدرات «هيئة تحرير الشام» غير «الكافية» لـ«الإطاحة» بالنظام السوري، ولا سيما أنها أصبحت تمتلك عدداً «محدوداً» من القوات. وإذ يحتمل تحوّل الهجوم إلى بداية «مرحلة جديدة مطولة من الحرب الأهلية السورية»، فهو يعتبر أنه عبر تلقي مساعدة من إيران وروسيا، «يمكن للأسد حتى تشديد قواته، وإصلاح خط المواجهة مع (هيئة تحرير الشام)، ودرء العدوان الذي تشنه (قوات سوريا الديموقراطية) التي يهيمن عليها الأكراد». ويستبعد التقرير إمكانية حصول «انقلاب» على نظام الأسد، نظراً إلى أنّ الأخير «محصن ضد الانقلابات»، ما يجعل حظوظ عدم انكشاف المتآمرين عليه ضعيفة. وفي حين يتبنى البعض نظريات حول أنّ روسيا وإيران ربما تسعيان «إلى استبدال الرئيس السوري»، فإنّ كثيرين يستبعدون وجهة النظر المتقدمة، ويعتبرون أنّ عزل الأسد بعيد كل البعد عن الواقع. وبدلاً من ذلك، من المرجح أن تضغط أنقرة وطهران وموسكو، طبقاً لأصحاب هذا الرأي، من أجل إبرام صفقة كتلك التي تم الاتفاق عليها عام 2020، ولكن مع منطقة عازلة أكبر بكثير تديرها «هيئة تحرير الشام»، بما يشمل حلب. على أنّ الصفقة لن تكون «سريعة»، نظراً إلى أنّ روسيا وإيران ستتخذان إجراءات لمنع «انهيار النظام»، وكسب الوقت لشنّ هجوم مضاد في المستقبل ضدّ «الهيئة». وطبقاً للمصدر نفسه، ورغم أنّ أنقرة سعيدة، على الغالب، بالتطورات الأخيرة، إلا أنّها تتخوف أيضاً من أنّه كلما زادت نسبة الأراضي التي تسيطر عليها «الهيئة»، سيصبح زعيم الجماعة، الجولاني، أكثر «استقلالية»، ما قد يصعب مهمة الضغط عليه للقبول بوقف لإطلاق النار ومطالب أخرى. ويُضاف إلى ما تقدم، أنّ التنوع السكاني، في حلب تحديداً، سيشكل تحدياً كبيراً لحكم المنطقة، ولا سيما أنّ الوعود التي تقدمت بها «هيئة تحرير الشام» للأقليات هناك، قد تختفي مع الوقت.

مقالة

«ازدواجيّو الأمة» يتصدرون ضد إسرائيل في غزة... معها في سوريا

حسين إبراهيم

من المفارقات أن كثيرين ممن أيدوا حركة «حماس» في قتالها ضد الاحتلال في قطاع غزة، هم أنفسهم متحمسون بشدة لما يعتبرونه «ثورة سورية»، رغم أن الأخيرة، بنسختها الجديدة على الأقل، ليست ثورة ولا يبدو الشعب مرتاحاً إليها، وفقاً لما تعكسه الصور التي تبثها المعارضة من «المدن المحررة»، حيث لا يُلاحَظ ظهور تجمعات شعبية مؤيدة لها. ما يجري فعلياً هو تحرّك عسكري أقل ما يقال فيه إنه مشبوه في التوقيت، بدليل أن «ثوار سوريا» لم يصدر عنهم موقف واحد في الوقت الذي كانت فيه غزة تباد حرفياً، على يد جيش العدو، على مدى أكثر من عام. ليس هذا فقط، بل إن هؤلاء، ليس في خطابهم كلمة واحدة عن الجولان السوري المحتل، والمضموم إلى إسرائيل باعتراف من الرئيس الأميركي المنتخب، دونالد ترامب، في ولايته الأولى.

كما أن المثير للشبهة أن كل أطياف المعارضة في المعركتين السابقة والحالية لا تتطرّق بشكل مباشر إلى العلاقة مع إسرائيل، وإن كان كل ما تردّد على ألسنة عدد من قادتها يفيد بأنهم مستعدون للتطبيع معها. لكن في حالة «جبهة النصرة» التي تحوّلت إلى «هيئة تحرير الشام»، بقيادة «أبو محمد الجولاني»، ثمة ما هو أكثر من تلك الإيحاءات؛ إذ ثمة علاقة برزت خلال سنوات الحرب الأولى، عندما فتحت إسرائيل مستشفياتها لجرحى التنظيم، وساعدته بأشكال أخرى في المنطقة المحاذية للجولان المحتل. هذا كلّه لا يمكن أن يُقرأ إلا على أنه صك تنازل من قبل هذه الجماعات لإسرائيل عن الجولان، مقابل الحصول على دعم إسرائيلي وغربي للسيطرة على ما أمكن من محافظات سوريا ومدنها، خاصة أن إسرائيل ليست من النوع الذي يمكن أن ينتظر مفاجآت في مسألة بتلك الأهمية بالنسبة إليها.

كذلك، تنحصر الحماسة لتقدم المعارضة السورية - إلى جانب السوريين من معارضي النظام - بمغرّدي الخليج المقيمين في دول كالسعودية والإمارات وقطر، وهو ما يطرح أسئلة حول حقيقة موقف بعض تلك الدول التي تقيم علاقات رسمية مع دمشق، بينما ترعى هؤلاء رعاية كاملة. مَن في قطر، ومَن في حكمهم في الكويت مثلاً، أي ذوو الميول «الإخوانية»، لديهم مشكلة في مشاهدة إسرائيل ترتكب المجازر بحق أطفال غزة، إلا أنهم مستعدون للتغاضي عن علاقة المعارضة السورية بإسرائيل، وذلك كان الحال في سنوات الحرب الأولى. لكنْ ثمة نوع آخر من «المتأسلمين»، هم شركاء في تمرير الرسائل التي يريد داعمو المعارضة السورية تمريرها عبر رجال دين أو نشطاء تابعين. فمِن غير الممكن تصور أن يغرّد الشيخ عدنان العرعور، المقيم في المملكة، بسمومه الطائفية من دون رضى السلطة التي تملك حساسية خاصة تجاه رجال الدين المشتغلين في السياسة، والذين يقبع معظمهم في السجون منذ سنوات، ولا أن تقبل الإمارات بأن يصدر طائفي متطرف مثل عبد الجليل السعيد، فيديوات على يوتيوب انطلاقاً من أراضيها. لذلك تفسير واحد هو أن مثل هذه الدول تريد أن تنوع علاقاتها بين نظام تؤيد نموذجه، وبين رعاية عملية تحريض طائفي لا بأس أن يقوم بها بعض معارضي النظام، والهدف الوحيد منها الإضرار بالمقاومة ضد إسرائيل.

هذه الازدواجية بذاتها كفيلة بأن تبين أن ما يستهدفه داعمو الهجوم في سوريا هو المقاومة في لبنان، وليس النظام في سوريا، إلا بالدور الذي يقوم به في توفير ممر للسلاح إلى «حزب الله». ولذا، إن الرسائل التي تخرج من أراضي تلك الدول تسعى إلى طمانة الطائفة العلوية إلى أن معقلها في الساحل محفوظ ولن يقترب منه أحد، في وقت جرى فيه اعتماد لغة مختلفة تطمئن الأقليات، ولا سيما المسيحيين. وإذا جرت مفاوضات في مرحلة من مراحل الصراع، فسيكون إغلاق الممر المذكور أول الشروط المطلوبة من النظام الموافقة عليها، وهو ما تشجّع عليه بقوة دول الخليج، ويشكل أحد الأسباب الواضحة للعلاقة مع دمشق.

وفي مقابلته مع «سي أن أن»، والتي تُعد بذاتها مؤشراً إلى ما تريده إسرائيل والغرب من تفجير أحداث سوريا، يقول الجولاني إن «خيار أنظمة الخليج بالتقارب مع دمشق خطأ، لأن رهانها على فصلها عن طهران غير واقعي»، محاججاً بأن «النظام لا يملك خيار الانفصال عن إيران، في حين أن الأخيرة هي التي تملك هذا الخيار». وهذه هي بالضبط السياسة الأميركية التي منعت تلك الدول من تطوير علاقاتها بسوريا لتشمل الدعم الاقتصادي، بما يخفّف الحصار الغربي. ما لم يتطرّق إليه الجولاني هو أن دول الخليج تعتبر الجهاديين عدوها الأول وتخاف من انتصارهم في أي مكان، وترى في النظام حليفاً لها ضدهم، ولذا حاولت الاستثمار فيه. فحين فاز «الإخوان» في انتخابات مصر، جنّ جنون حكام تلك الدول، والذين دفعوا عشرات مليارات الدولارات للخلاص من «إخوان مصر» حتى لا تسقط عروشهم. وكأن إسرائيل تقول لهم اليوم: «لا تخافوا، من ساواك بنفسه، ما ظلمك».

طوفان الأقصى

ترقّب لردّ «حماس» النهائي
إسرائيل «تبشّر» بهدنة جزئية

يحيى دبوق

تُرجِّح إسرائيل قبول حركة «حماس» الصيغة الجديدة - القديمة لاتفاق وقف إطلاق نار مؤقت، يصل إلى أكثر من 60 يوماً، ويتضمّن تبادلاً للأسرى، وإدخال مساعدات، وغيرهما من البنود التي لا تزال، إلى الآن، غير واضحة المعالم، علماً أن الحركة لم تعلن رسميّاً بعد موافقتها عليها. ووفقاً للرواية العبرية، ثمة اقتراح إسرائيلي منجز، ينتظر قبول «حماس»، التي أُعطيت مهلة أيام لتحديد موقفها. وترى تل أبيب أن الظروف باتت أكثر ملاءمة لاتفاق يميل إلى تحقيق أكبر قدْر من المصالح الإسرائيلية الآنية؛ إذ إن الوضع الإقليمي والدولي، فضلاً عن الوضع الميداني الذي وصل إلى حدّه النهائي، وسط استمرار الخسائر الفلسطينية في غزة من دون ضغوط وخسائر متوازية ومتناسبة على الجانب الإسرائيلي، يتسبّبان بالضغط على قيادة «حماس» لقبول الاتفاق، وإنْ كان مجرّد اقتراح محدّث ومعدّل نسبياً عمّا عُرض على الحركة في آب الماضي.

فهل تنجح الاتصالات التي تقودها، هذه المرة، القاهرة، بمعيّة الدوحة التي دخلت مجدداً على خط التفاوض غير المباشر بين العدوّ و«حماس»؟ الإجابة تبقى لدى الحركة التي عليها أن تختار ردّها

> ترى تل أبيب أن الظروف باتت أكثر ملاءمة لاتفاق يميل إلى تحقيق أكبر قدْر من المصالح الإسرائيلية الآنية

وفقاً لاعتباراتها وظروفها وقدْرتها على رفض الإملاءات، وإنْ كان عليها أن تواجه لاحقاً، في حال قبولها الصيغة الجديدة، ضغوطاً إضافية تقودها الإدارة الأميركية القادمة؛ إذ ستنتهي الهدنة - في حال التوصّل إليها الآن - مع تنصيب دونالد ترامب (في الـ 20 من كانون الثاني المقبل)، الذي يظهّر، كما كبار مستشاريه ومسؤولي إدارته، إشارات دالّة على تشدُّد مواقفهم، المرفقة بتصريحات تَعِد الشرق الأوسط بـ«الجحيم»، في حال عدم الاستجابة لإملاءات الرئيس المنتخب. ويعني ذلك أن ترامب سينزع قناع «شبه الحياد» عن واشنطن في كل ما يتعلّق بالحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، ليكشف تموضعها وموقفها الفعليَّين، إلى جانب الحرب على الفلسطينيين.

والتهدئة المؤقتة، التي تليها فترات تهدئة يُتَّفق عليها وفق آلية محفزات للجانب الفلسطيني لإنهاء ملف الأسرى الإسرائيليين، تمثّل أيضاً فرصة لرئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، الذي يخشى من وقف دائم لإطلاق النار من شأنه أن يتسبّب بفرط عقد ائتلافه الحكومي، في ظلّ تهديدات ما فتئ يطلقها اليمين المتطرّف بالانسحاب من الحكومة وإسقاطها في حال إنهاء الحرب.


ترامب سينزع قناع «شبه الحياد» عن واشنطن في كل ما يتعلّق بالحرب الإسرائيلية على قطاع غزة (أ ف ب)

كما أنها تمثّل «أهون الشرَّين» بالنسبة إلى أقطاب اليمين المتطرف، قياساً إلى نهاية حرب هي بالنسبة إليهم فرصة كذلك لـ«استعادة» غزة، وضمّها من جديد إلى إسرائيل بعد الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية فيها واستيطانها.

وبالعودة إلى الموقف الأميركي، ترى كتابات وازنة أن التطرّف المتبدّي من مواقف ترامب ومستشاريه، يعكس إرادة الرئيس المنتخب التوصّل إلى وقف لإطلاق النار قبل تولّيه منصبه، بما يتيح العمل على تهدئة دائمة، وخاصة أن الصفقة المقترحة تتضمّن آليات وإجراءات وربما أيضاً اتفاقات من تحت الطاولة مع رام الله وتل أبيب، تسهّل عملية تجديد التهدئة لآجال أخرى. إلا أن الرأي الأكثر ترجيحاً، يرى أن ترامب أراد استغلال الاتفاق على الهدنة، والذي بات في مراحل بلورته النهائية، لإسناد الإنجاز إلى نفسه، وليقول لاحقاً إنه هو الذي دفع إليه حتى قبل أن يتولّى منصب الرئاسة، في ما يمثل «حركة استغلالية» برزت كثيراً في ولايته الأولى.

وعلى أي حال، يفترض أن تكون أولى إشارات الاتفاق وقبوله من طرفَيه، توجُّه وفد «الموساد» الإسرائيلي إلى القاهرة خلال أيام قليلة للاتفاق على التفاصيل، وتحديداً الأعداد النهائية للأسرى من الجانبَين، كون اتفاق التبادل جزئياً. على أن تلك المهمّة قد تتسبّب بتعقيدات إضافية - وإنْ كان يقدَّر تجاوزها -، وخاصة أن عدداً من الأسرى الإسرائيليين مفقودو الأثر، ومنهم مَن كانوا في قبضة عائلات فلسطينية من غير الفصائل، فُقد الاتصال بهم وبمَن معهم من أسرى إسرائيليين.

مصر متفائلة بتهدئة قريبة

القاهرة - الأخبار

دخلت مناقشات التهدئة المقترحة في قطاع غزة مرحلة جديدة، ربما تكون «الأخيرة»، في ظل وجود مساحات أكبر للتوافق، بحسب ما أفادت به مصادر مطّلعة «الأخبار». ويأتي هذا في وقت تنتظر فيه القاهرة زيارة وفد أمني إسرائيلي خلال الأيام المقبلة لمناقشة العديد من «النقاط العالقة». وإذ جرى الربط بين الإفراج عن الأسرى العسكريين الإسرائيليين وإطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين المحكوم عليهم بالمؤبّدات، فإن مسألة بقاء القوات الإسرائيلية داخل القطاع، هي أكثر الأمور التي تناقش بشكل تفصيلي بين المسؤولين المصريين ونظرائهم الإسرائيليين.

وبحسب مصدر مصري تحدّث إلى «الأخبار»، فإن عدة نقاط لا تزال عالقة في ما يتعلق بتفاصيل «اليوم التالي»، خصوصاً في ظل تأخر إعلان الرئيس الفلسطيني، محمود عباس، تشكيل «لجنة الإسناد المجتمعية»، والتي ستكون مسؤولة عن إدارة غزة. ورغم ضغوط القاهرة على «أبو مازن» من أجل تشكيل اللجنة، يشير المسؤول المصري إلى استمرار المشاورات في شأنها فلسطينياً، في حين باتت مفاوضات التهدئة تحرز تقدماً ملحوظاً، في ظل عودة الانخراط القطري والتفاعل الأميركي من قبل إدارة دونالد ترامب المقبلة، على وجه الخصوص. وبحسب مسؤول في المخابرات المصرية، فإن الاتصالات الجارية مع القطريين اتخذت منحىً إيجابياً بشكل كبير خلال اليومين الماضيين، وسط توقعات بأن يكون الاتفاق العتيد بمثابة تهدئة مؤقتة إلى حين بلورة اتفاق جديد.

هجوم متجدّد على «كمال عدوان»: العدو يواصل حرب المستشفيات


مستشفى «كمال عدوان» هدفاً دائماً للعدو (أ ف ب)

غزة - يوسف فارس

عاود جيش الاحتلال، فجر أمس، الهجوم على مستشفى «كمال عدوان» في حي مشروع بيت لاهيا، شمالي قطاع غزة، وذلك للمرة الثانية منذ بداية العملية البرية في شمال القطاع قبل أكثر من شهرين. وبدأ الهجوم، وفقاً لشهادات محلية، بقصف جوي ومدفعي عنيف جداً استهدف عدداً من المباني السكنية المحيطة بالمستشفى، ثم استهدفت طائرات «كوادكابتر» تحمل قنابل وأسلحة رشاشة، بوابات المستشفى ونوافذه بالنار، قبل أن تتوغّل أعداد كبيرة من الآليات وتحيط به من الجهات الأربع، وسط إطلاق نار كثيف جداً. وعلى الأثر، أرسل جنود الاحتلال شابين يبدو أن العدو اتخذهما درعين بشريّيْن، ليطالبا عبر مكبّرات الصوت بإخلاء المستشفى من المرضى ومرافقيهم. كما طالبا وفداً طبياً إندونيسياً كان قد وصل إلى المستشفى قبل أيام، بإخلائه عبر طريق صلاح الدين مشياً على الأقدام إلى مدينة غزة، قبل أن يشرع الجنود في حملة اعتقالات جماعية للمواطنين والكوادر الطبية. ومع ساعات الصباح، انسحبت الآليات الإسرائيلية من محيط المستشفى، تاركة العشرات من جثامين الشهداء ملقاة في الشوارع وتحت ركام المنازل. وقال المتحدث باسم جيش العدو، دانيال هاغاري، إنه «بتوجيه من جهاز الشباك، تم الهجوم على المرفق، وقتل 50 مسلحاً من عناصر حركة حماس». على أن قائمة الشهداء التي نشرتها وزارة الصحة والتي ضمت أسماء 32 شهيداً هم من وصلت جثامينهم وتم تسجيلها في القوائم الرسمية، تكذّب ادعاءات الاحتلال، حيث العدد الأكبر منهم هم من المدنيين والنساء النازحين الذين يسكنون محيط المستشفى. لكن ما الذي يريده جيش العدو من «كمال عدوان»؟

تمثّل المؤسسات الصحية التي رفض الأطباء إخلاءها، وواصلوا أداء الخدمة الطبية فيها متحدّين قرار الاحتلال، حجر عثرة أمام مخطّط العدو للإفراغ الكلي لشمال القطاع، وهي تحافظ على صوت إعلامي مستمر يفضح ممارسات العدو في المنطقة التي تُصنّف فيها عملياته، حتى وفق قادة إسرائيليين، بحجم وزير الجيش السابق موشيه يعلون، بأنها جرائم «إبادة جماعية». وإذ

> عشرات الشهداء في مجازر جديدة ولا أحد يمكنه الوصول لانتشال جثامينهم

يعتقد جيش الاحتلال أن بوسعه تحويل المؤسسات الصحية إلى مصائد يغري عناصر المقاومة للاحتماء فيها، فإن الهدف الأساسي من الاستهداف المستمر لها وإشاعة أجواء من الرعب وعدم الاستقرار حولها، يتمثل في شقين: أولهما الإخلاء القسري للمستشفيات، والثاني عقاب الكوادر الصحية على كسرها قرار الجيش وتصميمها على مواصلة العمل.

ما حدث أمس، سبقته العشرات من الاعتداءات التي تجري بشكل يومي. ويقول مدير المستشفى، الدكتور حسام أبو صفية، إن طفلاً لم يتجاوز الـ14 عاماً من عمره وصل مصاباً على كرسي متحرّك للحصول على العلاج من شقيقته التي تعمل ممرضة في قسم الطوارئ والاستقبال، وحينما خرج الممرضون لإدخاله، قصفتهم طائرة مُسيّرة بصاروخ، ما تسبب باستشهاده وإصابة شقيقته و12 شخصاً من المرافقين والطاقم الطبي. كذلك، يواصل جيش العدو إطلاق الرصاص والقنابل اليدوية المتفجرة على المستشفى، كما لم يسلم مستشفيا «الإندونيسي» و«العودة» من اعتداءات مماثلة.

أما المناطق المحاصرة، فلا تزال تشهد يومياً مجازر جماعية بحق العائلات الصامدة، وآخرها كانت مجزرة بحق عائلة الشلفوح في مشروع بيت لاهيا، قضى فيها العشرات من الشهداء الذين لم يستطع أحد الوصول لانتشال جثامينهم.

ميدانياً، أعلنت «كتائب القسام» خلال اليومين الماضيين تنفيذ سلسلة من المهمات القتالية، ونشرت مقاطع مصوّرة لعمليات أخرى، كان ملاحظاً أن بعضها تمّ تنفيذه في مخيم جباليا وفي مناطق انتهى العدو من «تطهيرها» منذ أسابيع، مثل شارع أبو العيش ومحطة تمراز وشرق المخيم. وأظهرت المشاهد قيام المقاومين بزرع عبوات ناسفة أرضية واستخدام مضاد للدروع من نوع «بي 29»، فضلاً عن تدمير عدد من الآليات.

تقرير

نصف مرتّب منتظم للموظفين
صنعاء تسحب ورقة ضغط أميركية

صنعاء - رشيد الحداد

بعد أن أفشلت الولايات المتحدة الجهود الأممية لإنهاء معاناة موظفي الدولة في اليمن، وحوّلت ملف المرتبات الإنساني إلى أداة ضغط على حركة «أنصار الله»، مشترطة وقف عمليات جبهة الإسناد اليمنية لقطاع غزة مقابل سماح واشنطن بحسم ملف المرتّبات، اتجهت حكومة صنعاء نحو إسقاط هذه الورقة الاقتصادية، إذ أعلنت بدء صرف نصف مرتب لموظفي الخدمة العامة اعتباراً من الشهر المقبل، وحل مشكلة المودعين في البنوك التجارية والحكومية، وهو ما يراد منه تحصين الجبهة الداخلية في مواجهة محاولات تثوير المجتمع بذريعة الراتب.

وأكّد وزير المالية في حكومة صنعاء، عبد الجبار الجرموزي، في منشور على منصة «إكس»، أن «الآلية الخاصة بدعم فاتورة مرتّبات موظفي الدولة وحل مشكلة صغار المودعين، ستكون لها فوائد إيجابية كبيرة لما يقرب من 800 ألف موظف حكومي من الذين انقطعت مرتّباتهم نتيجة قيام التحالف السعودي- الإماراتي بنقل البنك المركزي إلى عدن، ونهب موارد النفط والغاز». وأوضح أن «الأثر الإيجابي للآلية سيشمل أكثر من 538 ألف عميل بنكي من صغار المودعين في البنوك على مراحل، منهم 440 ألف مودع سوف تُسدّد ديونهم في كانون الثاني المقبل»، مشيراً إلى أن «أولئك هم الذين حُجزت أموالهم في البنك المركزي كقروض على الحكومة، وكان من المفترض تسديدها من قبل من قاموا بنقل البنك المركزي إلى عدن، لكنّ هؤلاء تخلوا عن ذلك، فاضطرت حكومة صنعاء إلى وضع حلول عاجلة لهم استشعاراً للمسؤولية وحرصاً على تخفيف معاناتهم».

وأوضحت مصادر حكومية، من جهتها، لـ«الأخبار»، أن «المعالجات الاقتصادية التي التزمت بتنفيذها حكومة البناء والتغيير أمام البرلمان الثلاثاء الماضي، معقّدة، في ظل محدودية الموارد العامة، واستمرار خروج نحو 70% من إجمالي الإيرادات العامة لليمن عن سيطرة صنعاء منذ عام 2016، إلا أن هذا القرار الاستراتيجي يأتي في ظل استمرار رهان دول العدوان، وعلى رأسها أميركا، على استخدام الورقة الاقتصادية كوسيلة ضغط لتحقيق مكاسب سياسية». وأشارت المصادر إلى أن «الحكومة ستعمل على ترشيد النفقات ورفع معدّل الإيرادات بهدف صرف نصف راتب بشكل مستمر شهرياً، ريثما يتم التوصل إلى اتفاق نهائي مع دول التحالف السعودي - الإماراتي، يفضي إلى صرف مرتّبات موظفي الدولة من مبيعات النفط الخام والغاز اليمني». وأوضحت المصادر أن «صرف إيداعات مئات الآلاف من عملاء البنوك، سينهي أزمة البنوك التجارية، والتي تفاقمت على مدى الأشهر الماضية نتيجة شح السيولة، وسيعيد الثقة بين المودعين والبنوك التجارية». وأضافت أن «ذلك يأتي تنفيذاً لاستراتيجية تسديد الدين العام، وفقاً لقانون منع التعاملات الربوية، والذي أقرّه البرلمان في صنعاء العام قبل الماضي، وقوبل بانتقادات حادة من قبل القوى المناهضة لحركة أنصار الله».

وأثارت خطوة صنعاء جدلاً في أوساط الموالين للتحالف السعودي - الإماراتي حول مصادر تمويل فاتورة المرتّبات؛ إذ شكّك هؤلاء في نجاح تلك الخطوة، وهاجموا في الوقت نفسه حكومة عدن لعجزها عن إدارة الملف الاقتصادي، وفشلها في حماية سعر صرف العملة في المحافظات الجنوبية، وعجزها عن صرف مرتّبات الموظفين في مناطق سيطرتها للشهر الثالث على التوالي. إلا أن مصادر مقرّبة من حكومة صنعاء أكدت، لـ«الأخبار»، أن «مصادر تمويل الآلية الاستثنائية المؤقتة لدعم صرف المرتّبات، هي قروض من المؤسسات الإيرادية المحلية، وليس هناك أي دعم خارجي لهذا الملف».

وميدانياً، علمت «الأخبار» من مصادر ملاحية مطّلعة، أن خليج عدن شهد، فجر أمس، اشتباكاً بحرياً بين قوات صنعاء الصاروخية والقوات الأميركية. ولفتت المصادر إلى سماع دوي انفجارات في المناطق القريبة.

صنعاء تحصن جبهتها الداخلية بقرار دفع المرتبات جزئياً (اف ب)



إعلانات رسمية

إعلان شطب

صادر عن السجل التجاري في بيروت بمُوجب القرار الصادر تاريخ 2020/12/15 تقرر بتاريخ 2024/12/3 حلّ فرع الشركة الأجنبية Nokia Solutions and Networks Gmbh & Co KG مُمثلي الفرع السيدة ألين شمالي والسيد روجيه الغريب وشطب قيدها من السجل التجاري حيث هي مُسجلة تحت الرقم /1006709/ ورقم تسجيلها في وزارة المالية /1415812/.
فعلى كُل ذي مصلحة تقديم اعتراضه ومُلاحظاته خلال مُهلة عشرة أيام من تاريخ آخر نشر.
أمين السجل التجاري بالتكليف
مارلين دميان

وفيات

بسْم الله الرحمن الرحيم
يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي. صدق الله العظيم
إنتقل إلى رحمته تعالى العزيز الغالي
يحيى جواد يحيى
والدته: المرحومة الحاجة فاطمة علي بيك التامر
زوجته: لينا عبّاس حلاوي
أولاده: كريم، نايلا وياسمينا
أشقاؤه: المرحوم نبيل واولاده: جواد، عزّة وأمال
حسين زوجته فاديا شاهين واولاده: عامر، وائل، جواد وفرح
محمد زوجته المرحومة سهى حيدر وولده: جاسم
شقيقاته: أحلام واولادها: رانية زوجة أنور الخطيب، ربيع المصري وهبة المصري
المرحومة أمال واولادها: نزار الحسيني، فادي الحسيني، عمر الحسيني
رجاء زوجة المرحوم سامي محمد حسن واولادهما:
ندى زوجة صلاح الدين مختار، علي زوجته سارة رايلي وليلى
تقبل التعازي يومي الأحد والإثنين 8 و 9 كانون الاول 2024 في فندق راديسون بلو Dune، الطابق الاول، فردان ابتداءً من الساعة الثالثة بعد الظهر ولغاية الساعة السابعة مساءً.
للفقيد الرحمة ولكم طول البقاء
الراضون بقضاء الله وقدره: آل يحيى، التامر، حلاوي، شاهين، حيدر، المصري، الحسيني وحسن.



الأخبار al-akhbar

طاقة بديلة

يشهد العالم سباقاً جديداً نحو الطاقة النظيفة، إذ تسعى الدول الغنية إلى إنتاج الهيدروجين الأخضر لتحقيق أهدافها المناخية. ورغم الحماسة المتزايدة لمشاريع الهيدروجين في دول مثل تونس، التي برزت لاعباً مهماً في هذا المجال بعد توقيعها اتفاقيات لتصدير الهيدروجين الأخضر إلى أوروبا، إلا أن هذا التحول يحمل تحديات جيوسياسية واقتصادية وتقنية. من بين هذه التحديات ما يتعلق بمخاطر فقدان السيادة على الموارد الطبيعية، ما يهدد بخلق اعتماد جديد على الدول المستهلكة، ويعيد إنتاج أنماط الاستغلال الاستعماري، ولكن هذه المرة تحت غطاء «خفض الانبعاثات» بدلاً من أن تكون خطوة نحو تنمية شاملة تتبع نهجاً تعاونياً إقليمياً في إنتاج وتوزيع الهيدروجين بين الدول المجاورة، بما يضمن توزيعاً عادلاً للأعباء والمنافع ويجنب تكرار أخطاء الماضي

استعمار جديد يلوح في الأفق

جنوب العالم... يدفع ضريبة الطاقة النظيفة؟

علي عواد

في عام 2022، وقعت تونس مذكرات تفاهم عدة مع شركات أوروبية، مثل «توتال إنرجي» و«فيربوند» النمسوية، لتصدير الهيدروجين الأخضر إلى أوروبا عبر مشروع Notos H2 الذي يهدف إلى نقل 200 ألف طن سنوياً عبر «خط أنابيب من تونس إلى إيطاليا». تسعى تونس عبر الاتفاقية إلى إنتاج ستة ملايين طن من الهيدروجين بحلول عام 2050 لتغطية العجز في الطاقة، الذي وصل إلى 50 في المئة في عام 2022، وخلق فرص عمل جديدة. ولكن هناك مخاوف من أن يؤدي هذا التوجه إلى تكرار نمط «الاستعمار الطاقوي». إذ تتطلب مشاريع الهيدروجين كميات ضخمة من الماء والأراضي، ويتوقع أن تستهلك 248 مليون متر مكعب من المياه المحلاة سنوياً بحلول عام 2050، أي نصف احتياجات السكان الحالية. كما أن البنية التحتية المطلوبة ستشغل نحو 500 ألف هكتار، أي ضعف مساحة تونس الكبرى، وهو ما يهدّد مناطق الجنوب التي تعاني أصلاً من شح المياه ونزاعات الأراضي. كذلك، وقّعت شركة «أكوا باور» السعودية نهاية شهر أيار (مايو) من العام الحالي، مذكرة تفاهم مع وزارة الصناعة والمناجم والطاقة في تونس، بهدف دراسة تنفيذ مشروع جديد يهدف إلى إنتاج نحو 600 ألف طن من الهيدروجين الأخضر سنوياً على ثلاث مراحل، وتصديره إلى الاتحاد الأوروبي. وهو ما قد يُشكل ضغطاً إضافياً على الموارد المائية في تونس، التي تعاني بالفعل من شح المياه. والجدير ذكره أنه في منتدى «الاستثمار السعودي الإيطالي» في ميلانو في أيلول (سبتمبر) 2023، جرى توقيع عدة اتفاقيات بين شركة «أكوا باور» السعودية والشركات الإيطالية، بما في ذلك شركة «إيني» الإيطالية العملاقة في مجال الطاقة. ويركز هذا التعاون على تطوير الهيدروجين الأخضر والطاقة المتجددة وتحلية المياه والمبادرات البحثية. ويتماشى هذا التعاون مع رؤية السعودية 2030 وإستراتيجيات إزالة الكربون، فضلاً عن اهتمام إيطاليا بتعزيز سلاسل إمدادات الطاقة. كما يمتد هذا التعاون إلى ما هو أبعد من التنمية المحلية، مع وجود خطط لمشاريع الهيدروجين في الشرق الأوسط وأوروبا. وبطبيعة الحال، يؤثر موقف رئيسة الوزراء الإيطالية جيورجيا ميلوني في نهجها في استراتيجية الطاقة في إيطاليا. وباعتبارها زعيمة حزب «إخوان إيطاليا»، الذي يتبنى برنامجاً قومياً ومحافظاً، فإن حكومتها تعطي الأولوية للمصالح الوطنية واستقلالية الطاقة. يتماشى هذا المنظور مع أهدافها السياسية الأوسع نطاقاً المتمثلة في تعزيز سيادة إيطاليا، وخصوصاً في سياق مشهد الطاقة الأوروبي. وتدعو إدارة ميلوني إلى زيادة الاستثمارات في إنتاج الطاقة المحلية وتنويع مصادرها، ما يعكس الرغبة في تقليل الاعتماد على واردات الطاقة الأجنبية وضمان أن تلعب إيطاليا دوراً رائداً في أوروبا، ولا سيما في أعقاب أزمة الطاقة التي أثارها الصراع في أوكرانيا. كذلك، تحاول ميلوني إيقاف مد المهاجرين من أفريقيا إلى إيطاليا عبر خلق وظائف في قطاع الهيدروجين ظاهرياً. ولكنها بذلك تشارك في تحويل البلاد إلى مجرد «محطة وقود» أنشأتها دول الشمال بالتعاون مع أسياد النفط لضخ الهيدروجين إلى أوروبا. رغم أن الهيدروجين يُروَّج على أنه طاقة نظيفة يمكن أن تقلل انبعاثات الكربون، إلا أنّ هناك سلبيات عدة تحد من فعاليته وتبني استخدامه على نطاق واسع. أحد التحديات الرئيسية هو الكلفة العالية للإنتاج، وخصوصاً عند الحديث عن الهيدروجين الأخضر المولّد من مصادر متجددة باستخدام تقنية التحليل الكهربائي (عملية فصل الماء إلى هيدروجين وأكسجين باستخدام تيار كهربائي). مقارنةً بمصادر الطاقة التقليدية، يتطلب هذا النوع من الإنتاج استثمارات ضخمة في البنية التحتية وتقنيات متقدمة لتقليل التكاليف بمرور الوقت. هناك أيضاً مخاطر تتعلق بنقص التسهيلات المطلوبة لتخزين ونقل الهيدروجين بشكل آمن وفعال، إذ يعد الهيدروجين شديد الانفجار (اللهب الناتج من احتراق الهيدروجين يكون غير مرئي تقريباً في ضوء النهار، ما يجعل اكتشاف الحرائق أو السيطرة عليها صعباً) وقابلية تسرّبه من الأنابيب عالية. من بين الانتقادات الأخرى، تشير تقارير معهد «اقتصاديات الطاقة والتحليل المالي» IEEFA، إلى أن بعض أنواع الهيدروجين، مثل «الهيدروجين الأزرق»، تعتمد على الوقود الأحفوري (الغاز) مصحوباً بتقنية احتجاز الكربون، ما يؤدي إلى استمرار الاعتماد على الغاز الطبيعي والتأثير سلباً في المناخ. ويثير هذا مخاوف حول استخدام الهيدروجين بمثابة «حلّ زائف» يعوق الانتقال السريع إلى الطاقة المتجددة بالكامل. أضف إلى ذلك أن الدول النفطية التي تعتمد على تصدير الغاز الطبيعي بشكل رئيس في اقتصادها، ترى في الهيدروجين الأزرق فرصةً للمحافظة على «هيمنتها على الأسواق العالمية»، وهو ما قد يعوق تحقيق أهداف العدالة المناخية ويؤدي إلى استمرار قيود الطاقة المركزية بدلاً من حلول لا مركزية تعتمد على مصادر محلية. الاعتماد على الهيدروجين أيضاً يفرض تحديات على صعيد الكفاءة؛ فعند تحويل الكهرباء إلى هيدروجين ثم استخدامه وقوداً، تضيع نسبة كبيرة من الطاقة في عمليات التحويل (تفقد حوالى 30% من الطاقة الكهربائية على شكل حرارة)، ما يجعل الاعتماد على حلول مباشرة مثل البطاريات أكثر فعالية في بعض القطاعات. لذلك، رغم أن الهيدروجين قد يلعب دوراً مهماً في الصناعات التي يصعب تخفيف انبعاثاتها (النقل الثقيل وصناعة الفولاذ)، فإنه لا يخلو من التحديات الكبيرة التي تتطلب معالجة شاملة لضمان تحقيق نتائج بيئية واقتصادية إيجابية.



مفكرة



فؤاد يمّين يُهوّن علينا «العيشة»

قبل أيام من تفجير أجهزة البيجر في لبنان، أطلّ علينا فؤاد يمّين من مسرح «دوّار الشمس»، ليقدّم مسرحيته الفرديّة «هينة العيشة هيك». ومع انحسار الحرب التي خيّمت على لبنان لأكثر من شهرين، يعود يمّين لاستئناف عروض مسرحيته الجديدة، ابتداءً من 13 كانون الأوّل (ديسمبر)، ولكن هذه المرة على مسرح «المونو». المسرحيّة من كتابة وإخراج وتمثيل فؤاد يمّين، وهي أقرب في أسلوبها إلى فنّ الحكواتي. تتميّز المسرحيّة بنصّها الذكي الذي استوحاه يمّين من تجارب عائلته وأصدقائه، ومن البيئة المحيطة به، بالإضافة إلى تجاربه الشخصيّة. وبحسب قوله، قام يمّين بجمع هذه التجارب ومزجها بالخيال، للتخفيف من وطأتها على الجمهور وإضفاء طابع كوميدي عليها. تشمل القصص التي يرويها يمّين مراحل من طفولته، وأيامه في المدرسة الداخلية، وأول لقاءاته مع الحب، إضافة إلى ما واجهه من صدمات ووحدة. وعبر هذه القصص، يُلقي الضوء على عادات وتقاليد لبنانية متجذرة. كما يشارك الجمهور بأسوأ خمسة مواقف واجهها في حياته. تعالج مسرحيّة يمّين قضايا اجتماعيّة ودينيّة وعائلية، بأسلوب يمزج بين العفوية والعمق.

مسرحيّة «هينة العيشة هيك»: بدءاً من 13 كانون الأوّل (ديسمبر) حتّى 27 كانون الأوّل – مسرح «المونو» (الأشرفيّة، بيروت). للاستعلام: 70/626200

طارق مراد يحن إلى كاليفورنيا

«وداعاً كاليفورنيا، لم أعتقد أبداً أنني لن أراك مرة أخرى» هو العنوان الذي يحمله الكتاب الأوّل الصادر عن Beirut Printmaking Studio، الذي يوقّعه مؤسس الاستوديو، المصوّر الفوتوغرافي اللبناني طارق مراد (الصورة). يضمّ الكتاب 48 صورة فوتوغرافيّة التقطها مراد خلال إقامته في ولاية كاليفورنيا الأميركية قبل ثلاثة عقود. تتناول الصور مشاهد الشوارع والطبيعة والأشخاص، وتستكشف علاقة الفرد بالصورة والذاكرة. كما يحتوي الكتاب قصّة قصيرة تسلّط الضوء على بداية مسيرة مراد الفوتوغرافية في كاليفورنيا. يحتفل الاستوديو بصدور الكتاب يوم 14 كانون الأوّل (ديسمبر)، بالتزامن مع افتتاح معرض يضمّ الصور التي يتضمنها الكتاب. جدير بالذكر أن Beirut Printmaking Studio هو الأوّل من نوعه في بيروت، إذ يقدّم تدريبات على مختلف تقنيّات الطباعة الفنية والتصوير الفوتوغرافي. كما يوفّر منحاً مجانية لطلاب الجامعات لاختبار عالم الفنون الطباعية وتطوير مهاراتهم فيه.



معرض «وداعاً كاليفورنا، لم أعتقد أبداً أنني لن أراك مرة أُخرى»: السبت 14 كانون الأوّل (ديسمبر) – الساعة الخامسة عصراً - Beirut Printmaking Studio (الجمّيزة، بيروت). للاستعلام: 76 /982777

الأخبار al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

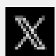
رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963


/AlakhbarNews

@AlakhbarNews

/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ01 /666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

ملحق أسبوعي

السبت 7 كانون الاول
العدد 5374 السنة التاسعة عشرة
Samedi 7 Decembre 2024 nº 5374 19ème année



بوريس فيان
«عاش بسرعة مئتي ميل في الساعة» 2

محمود احمد ـــ «الفلسطينيون» (1978)

الفلسطيني في «وجوهه» الكثيرة

رشيد وحتي

بعدَ إصدار كتبها في طبعة أولى كبيرةِ القَطعِ وغاليةِ السعر، اعتادت دور النشرِ الغربيةِ عامَّة أنْ تصدرَ طبعةَ جيبٍ شعبيَّة من الكتاب نفسه مستهدِفةً شريحةً أوسعَ من القرَّاء. لكن ما الدَّاعي الآن إلى إعادةِ إصدار كتاب المؤرخ الفلسطيني إلياس صَنْبَرْ: «أوجُه الفلسطيني: هوية الأصول، هوية الصيرورة» بعدما صدرَ في طبعته الأولى في عام 2004؟ لا شكَّ في أنّ «دار غاليمار» (أعرق دار فرنسية والأضخم مع Seuil) رأت أنَّ الكتابَ لم يَشِخْ، مع فارق عشرين سنة بالتمامِ والكمال بين إصدارهِ الأوَّل وطبعته الراهنة (الثانية)، بل أصبحَ أكثر راهنيةً، مع دفع «طوفان الأقصى» بالقضية الفلسطينية، معضلةِ المشرق العربي الأولى، إلى واجهة الأحداثِ، لا بالتتبع الإعلامي فقط، وإنَّما بالدِّراسة الأكاديمية الرصينة والبحث الموضوعي والمنصِف لمهزومي التاريخ، بعيداً من موجةِ مطاردةِ الساحرات تارةً بإشهار تهمةِ معاداة السامية التي صارت ممجوجة (بحقِّ نشطاء وبرلمانيِّي حزب فرنسا الأبيَّة مثلاً)، واعتبار كل متعاطف مع الفلسطينيين يساريّاً متأسلِماً (islamogauchiste)، وطوراً باعتبار نزهاء المفكرين اليهود كارهين لذاتِهم (حالة الأكاديمي إيلان بابه الذي أقدمت الشركة الإعلامية المتنفّذة في ميدان الإعلام والنشر والطباعة المملوكة لليميني المتصهين بولوري، بسحب كتابه عن التطهير العرقي في فلسطين من رفوف المكتبات وشبكات التسوق الإلكتروني).

عودة بنا إلى إلياس صنبر الذي نال عن كتابه المذكور جائزة «جمعية الصداقة الفرنسية ـ العربية» في فئة الدِّراسات، نظراً إلى فرادته التحليلية في تتبُّع مبدأ أن الهويات الوطنية هي في طور تكوُّن دائم، وهي تختلف عن تلك التي تعتمد فقط على أصولها. إذا تم التعامل مع أي هوية وطنية بهذه الطريقة، فإنها تتطلب إظهار كيف هي جذورنا في الواقع الماثل أمامنا، وكيفَ أصبحنا على ما نحن عليه اليوم.

«أوجُه الفلسطيني» لا يقدّم أي سرد للصراع الفلسطيني ـ الصهيوني، ولا تأريخاً لما حدث في كلٍّ من المعسكَرَين على مدى قرون، فمثل هذه التأريخات متوافرة بجميع اللغات الأكثر شيوعاً. لقد آثرَ الباحث السيرَ وفقاً لمنهج أنثروبولوجي ـ تاريخي لتقديمِ مفاتيح لفهم الهوية الفلسطينية.

انطلاقاً من حقبةِ الإمبراطورية العثمانية، يستنبط صنبر الوجه الأوَّل للفلسطيني باعتبارهِ ابناً لشَعب الأرض المقدسة (بيت المَقْدِس)، وبالتالي تُعرَّف هويَّته عبر الجغرافيا التي تتعايش فيها المجتمعات والأديان، حيث تتميز التشكيلات الاجتماعية بدمج دورِ العبادة والأماكن الطقوسيَّة والمَحَجَّات ضمنَ أديان التَّوحيد.

أمّا الوجه الثاني لهذه الهويَّة المتحوّلة، فهو وجهُ الفلسطيني كعربي: خلال فترة الانتداب البريطاني ولدى بناء «الوطن» الصهيوني كمشروع كولونيالي في قلب المشرق العربي بخاصرةِ الشَّام الكبير، انسَحَق الفلسطينيُّون في دوَّامةٍ مزدوجة كان سندانُها الاستعمار البريطاني، ومطرقتها الاستيطان والتهجير الصهيوني لأصحاب الأرض، ليصبحوا، بين ليلةٍ وضحاها أجانبَ وأغياراً على أرضِهم وفي شتاتِ المخيَّمات والمنافي.

الوجه الثالث والأخيرُ، هو وجهُ الفلسطينيِّ الغائبِ أو غير المرئي: بعد موجة مجازر وترانسفير عام 1948، قامت آلة الكيانِ الاستعماري الجهنمية المدعومة من الكولونياليات الغربيَّة القديمة والجديدة بمحو أو تعديل أسماء المواقع الجغرافية وطمس التضاريس التاريخية لفلسطين تدريجاً؛ فتصدَّى هذا الوجه الفلسطيني للعنف المادي بالاشتغالِ الرمزي على التاريخ، بِأَنْ زرع في مخيمات اللاجئين ذاكرةً للأماكن وغذَّاها بفكرة العودة إلى أرض الأجداد. مع هذا الوجه ارتقى مفتاح البيت ووثيقة الرسم العقاري إلى درجة السلاح التاريخي الموازي للكفاح المسلَّح.

بعد هذا التركيب الأنثروبولوجي المستند إلى رؤية تاريخية بانوراميَّة، يخلص الكاتب إلى السؤال الأساسي والإشكالي، الذي يجد صداه في وقائع هذه الأيام بالذات، وفي الجغرافيا الممتدة من بادية النهر حتى الإسكندرون السليب: لم تعد المسألة «من أينَ نستمد هويتَنا؟» وإنَّما صارت مسألة المَسائل: إلى أين نحن ذاهبون في صيرورةِ هويَّتِنا المتحوِّلة هذه؟

ملف

بوريس فيان... أمير سان جيرمان «عاش بسرعة مئتي ميل في الساعة»

بول مخلوف

في باريس مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، في أواخر الأربعينيات وفي أزقة «سان جيرمان» تحديداً، كان يكفي ذكر اسم بوريس فيان أمام أي أحد حتى تصير الأعين جاحظة من فرط الحماسة ويبدأ خفقان القلوب. كان حيّ «سان جيرمان» في ذاك الوقت ينبض بما صار يعرف لاحقاً بالثقافة الفرنسية المعاصرة: المانيفستوهات المناهضة للنازية التي تُركت على الطاولات مرحلة الحرب، راح أصحابها يبحثون عن مانيفتسوهات جديدة تناسب شكل المرحلة الجديدة، السرياليون الذين تفجرت قصائدهم «باستعارات» القنابل والقذائف، أرهقتهم الحرب ولكن بقيت أحلامهم خصبة. زادت الكوكتيلات المقدمة في حانات سان جيرمان من خصوبتها، أما بالنسبة إلى الشباب الصاعد، فقد كانت هناك موجة جديدة عاصفة اسمها الوجودية. تيار فلسفي سرعان ما صار صفة تدلّ على كل شخص متحرر، يبحث عن طريقة عيش تقوم على الاختبار وعلى الاختيارات الشخصية لا على الموروث، يرتاد الحانات ويسهر حتى أوقات متأخرة من الليل على موسيقى الجاز. شكّل حي «سان جيرمان» في تلك المرحلة مختبراً للأفكار الطليعية والثورية، وفضاءً مفتوحاً للتجارب السياسية والعاطفية؛ ولتجارب أطلق عليها تسميّة «الأصالة الوجودية».

تزعّم بوريس فيان (1920 ـ 1959) ثقافة هذا الحيّ، وأطلِق عليه لقب «أمير سان جيرمان». واكب الموجات الجديدة التي اكتسحت أرصفة باريس وشوارعها من دون أن يحصر نفسه في أيّ موجةٍ منها. بقيَ خارج الانتماء الآسر، منفتحاً على التيارات الأدبية والفنية الرائجة، مشتغلاً بدوائرها وأطرها. كان مثل كتاباته: عصيّاً على التصنيف. فقد كان سوريالياً غير آبهٍ بنظريات أندري بروتون، وجوديّاً على طريقته الخاصة، عبثيّاً حدّ النخاع. دخل إلى معهد ألفرد جاري «الباتافيزيك» (Pataphysic)، المعهد الذي انضمّتْ إليه شلّة من الكتّاب مثل جورج بيريك الذي كتب هناك روايته «الاختفاء» (La disparition)، وهي رواية لم يرد فيها أي كلمة تحمل حرف «e» . و«الباتافيزيك» بتعريف جاري، ممارسة ساخرة من الميتافيزيق أي علم الموجودات. إنها علم «الحلول المتخيَّلة» حيث الاهتمام مصبوب على «الاستثناء لا على المتعارَف عليه». المغامرة في «الباتافيزيك» عزّزت خيال بوريس فيان، وجعلته يغوص في مناطق جوانيّة غامضة. دخوله إلى المعهد لم يكن بغية توكيد حقيقة ما يعرفه: وجود المفارقة وحضور اللامعقول، أو باختصار العبث، إنّما كانت تمريناً لاستبدال الواقع بالخيال، للرهان على المُفرَد الغريب لا على الجمع المألوف، وللمزيد من الشطّ في التفكير «أحاول إرادياً التفكير في أمور لا أعتقد أن الآخرين يفكّرون فيها».

هذا التنقّل بين السريالية والوجودية والثقافة الأميركية المتمثّلة في الجاز أسبغ عليه لقبه الأنيق «أمير سان جيرمان»، بالإضافة إلى كونه دائم الإحاطة بروّاد «موضة المشهد»، أمثال سارتر، وبوفوار، وميرلوبونتي وكامو وجاك بريفير وغيرهم. لكن بوريس فيان لم يكن يتنقّل بين تلك المذاهب كزائر سمج يتوق إلى التقليد، أو كرحّال لا يتوقّف عن الهيام من دون أن يترك وراءه أيَّ أثر، لقد كان الأدب يسيل في عروقه ويفيض، بوريس فيان كائن مركّب مثل جمله الموسيقية المعقّدة، مثل المصطلحات اللغوية التي اخترعها، كائن مولَع بالتجريب، وهو كما قال والت ويتمان: «أنا أناقض نفسي، إذاً أنا متّسِع، أنا متعدّد».

والكتابة عن بوريس فيان تشترط علينا سؤالاً بالغ الأهمية: عن أيّ بوريس فيان تحديداً نودّ الكتابة؟ ولد سنة 1920 لعائلة ميسورة خسرت ثروتها في البورصة بعد تسعة أعوام من ولادته. هو روائيّ وشاعر ومترجم، ناقد موسيقيّ، وعازف ترامبيت ومنظِّم حفلات وممثّل، كتب الأغنية، والشعر، والقصّة القصيرة، والمسرح، والأوبريت، كان رسّاماً هاوياً ومهندساً ميكانيكيّاً، ومخترعاً. بالنسبة إلى الناقد فرانسوا بوسنيل، فإنّ بوريس فيان «كاتب متعدّد المواهب، غزير الإنتاج، محموم... كان انتصاراً للاستعارة، هو الشعر في شكله الخالص». في حوزة بوريس فيان أكثر من عشر روايات، وأربعة قصص قصيرة، وثلاثة دفاتر شعر، كتب أكثر من ثماني مسرحيات، وفوق الخمسمئة أغنية وعدداً هائلاً من المقالات المختصّة في الجاز وفي النقد الموسيقي. مؤلِّف كتاب الدليل السياحيّ لحيّ سان جيرمان؛ كتاب يعرِّف القارئ بجغرافيا هذا الحيّ، ويخبر عن الأزقّة، والأروقة وثقافة الأمكنة في سان جيرمان. جدران منزله الذي تحوّل بعد وفاته إلى ما يشبه المتحف، مليئة بلوحاته السريالية المستوحاة من دالي. مثّل في عدد من الأفلام، وأحدها مع الممثلة الفرنسية جان مورو. ترجم عدداً من الروايات لروائيين بارزين أمثال رايمون شاندلر وألفرد فان فوغت، واخترع آلة. حقّق كل هذا قبل بلوغه الأربعين من عمره. مات بوريس فيان في التاسعة والثلاثين. مفاجأة صادمة، أليس كذلك؟ نقّاده ومحبّوه أجمعوا على أنّه عاش حياته كمن يقود سيارة بسرعة مئتي ميل في الساعة. والسير بسرعة مئتي ميل في الساعة معناه أنّ الخروج من بعد الارتطام مستحيل.

زوجته الأولى، ميشال ليغليز التي ساعدته عندما بدأ ينخرط في الترجمة، والتي أفسدت علاقتها مع جان بول سارتر زواجهما، صرّحت في إحدى المقابلات أنّ بوريس فيان كان يكتب بسرعةٍ هائلة. زوجته الثانية أورسولا كيوبلر قالت الشيء نفسه مع معلومة إضافية أنّه كان مصاباً بالأرق، فنومه لم يتجاوز الثلاث ساعاتٍ يومياً. ورغم هذا، مهما كانت أسباب موته مقنعة، مثل سوء اعتنائه بنفسه، وقلّة النوم، وشراهته على التدخين والكحول والموسيقى والكتابة، إلّا أنها مبررات تعجز عن تخفيف الدهشة إزاء ما حقّقه بوريس فيان في عمره القصير.

يبدو كل شيءٍ في عوالم بوريس فيان خياليّاً، ومن بينها حياته. فالجميع كان يعلم أنّ حياته قد تنتهي مع انتهاء الأغنية التي يعزفها. عندما بلغ عامه الثاني عشر، أخبر الطبيب أهل بوريس فيان بأنّ حياته لن تدوم طويلاً، وتنبّأ له العيش لعامه الأربعين كونه مصاباً بحمّى الروماتزم التي تؤثر على عضلة القلب. لم تصح نبوءة الطبيب تماماً، فسنة واحدة عند بوريس فيان توازي من حيث الإنتاج، ما يفعله غيره في مئة سنة. لكن فيان كان أوفر حظّاً من صديقه المقرّب جاك لوستالو الذي وظّف شخصيته في عدد من القصص التي كتبها تحت اسم «الكولونيل». توظيف الأسماء، ونقل أسماء أشخاص إلى شخصيات مركّبة وإعطاؤها حيّزاً داخل الفضاء السردي جزء من ألاعيبه باللغة وبالسرد. مات لوستالو بعد خسارته رهاناً يقتضي تسلّق بناية ودخوله إلى شقّةٍ عبر النافذة. سقط لوستالو من الطوابق الشاهقة، ارتطم رأسه على الأرض، ومات على الفور. هكذا، دائماً ما كانت سمة الغرابة وهالة الغموض يلاحقان بوريس فيان. غموض وغرابة يلفّان حياته الشخصية مثلما تحيطان عوالمه الروائية؛ موته في صالة السينما وهو يشاهد الفيلم المقتبس عن روايته «سأبصق على قبوركم» مثالاً. ها هي دقائق قليلة مرّت على بداية الفيلم، وقف بوريس فيان عن كرسيه وبدأ يصرخ: «أنا بريء من هذه القصة، لست أنا من كتبها، تبّاً لكم!» بقيَ فيان يصرخ ساخطاً حتّى انفجر قلبه. ومثل صديقه «الكولونيل»، انفجر قلب بوريس فيان، وقع على الأرض ومات فوراً.

جاز صاخب وأميركا التي تطلّ على شرفة باريس

سرعان ما هجر بوريس فيان مهنته كمهندس ميكانيكي، تخلّى عن الآلة التي اخترعها، واتجه صوب موسيقى الجاز. يفصح المغنّي الفرنسي هنري سلفادور أنّ بوريس فيان «أحبّ الجاز، عاش من أجل الجاز، استمع إلى الجاز، عبّر عن نفسه في الجاز». لو قُدِّر لبوريس فيان المزيد من سنوات العيش، لربّما كان ليتخلّى عن كتابة الشعر، أو الرواية، أو المسرح أو الرسم مثلما سبق وتخلّى عن الهندسة، ولبقيَ «جازيست» يعزف على ترامبيت، ولو أنّه اتجه في سنواته الأخيرة إلى موسيقى روك اند رول على إثر انبهاره بإلفيس بريسلي. «هناك شيئان فقط: الحب، بكل أشكاله، مع الفتيات الحسناوات، وموسيقى نيو أورلينز أو موسيقى ديوك إلينغتون. كل شيء آخر مصيره الزوال. لأنّ كل شيء آخر قبيح»، وهو إفصاحٌ بمنزلة بطاقة تعريف ذاتية، متقشّفة ومقتضبة، وتحكي كل شيء.

ثمَّة ارتباطٌ وثيق أشبه بحبلٍ سريٍّ يربط بوريس فيان مع الموسيقى منذ ولادته. والدته عازفة بيانو، المفتونة بالموسيقى الكلاسيكيّة، أعطته اسم بوريس تيمّناً بالعمل الأوبرالي للمؤلِّف الروسي موسورغسكي المعنون بـ«بوريس غودينوف». تعلّم فيان العزف على ترامبيت في سنّ السادسة عشرة وراح ينظّم حفلاتٍ خاصة مع إخوته الثلاثة. إقامة هذه الحفلات ستصبح مهنة فيان في أعوامٍ لاحقة، وستسهّل عليه حصولهُ في ما بعد على اللقب الأثير: أمير سان جيرمان. في الأعوام التي سيطرت النازية فيها على فرنسا، كان بوريس فيان ينظّم الحفلات في الأقبية وفي شقق خاصة، يعزف الجاز ويشدو أغانيهَ. راج آنذاك ما عرف بـ«زازو». قبل أن يتغيّر مدلول المصطلح («زازو») ويصبح رمزاً للثياب الواسعة المتأثّرة بالموضة الأميركية حيث يرتديها الشباب الذين يرقصون السوينغ على أنغام الجاز، كانت «زازو» كلمة سرّ، ومعناها تهريب الشباب من حظر التجوّل، ومساعدة من يريدون عدم العودة إلى المنزل حتى اليوم التالي. انكبّ بوريس فيان في ذلك الحين على تهريب الشباب ودعوتهم إلى تلك السهرات. بعد انتهاء الحرب، ملأت تلك الحفلات الحانات والأقبية الجديدة، وصار بوريس فيان نجم عاصمة الحداثة. تروي لنا سارة بيكويل في كتابها الرائع «على مقهى الوجودية» (دار التنوير ـ ترجمة بديعة من حسام نايل) أنّ سيمون دو بوفوار استمتعت بأهجية فيان وأطلقت عليها وصف «ضغطة الحنان الهائلة». تسرد باكويل كيف كان الفلاسفة يرقصون طوال الليل، تخبرنا: «لقد لاحظ بوريس فيان أنّ ميرلو بونتي هو الوحيد من بين الفلاسفة الذي دعا فتاة إلى حلبة الرقص». وتسرد لنا باكويل أيضاً عن أغنية جولييت غريكو «مرسيليا الوجودية»، الذي اشترك في كتابة كلماتها ميرلو بونتي وبوريس فيان وآن ماري كازاليس، الأغنية ذات القوافي الرنّانة التي تحكي «قصّة حزينة عن شخص بلغ فيه الفقر حالاً جعله غير ذي اعتبار في مقهى «فلور»، ويعتزّ بكونه حرّاً رغم قراءة ميرلو بونتي، وينتهي به المطاف إلى المحنة نفسها دوماً رغم أنف جان بول سارتر».

انتهت الحرب إذاً وبدأت الأمور تتمخّض في قلب باريس. الأميركيون تحديداً جذبتهم المدينة؛ مايلز دايفس تورّط في علاقة عاطفية مع جولييت غريكو، ربتشار رايت سحرته الوجودية، ديوك إلينغتون الذي سبق لفيان أن حضر له حفلة عام 1939 صار عرّاباً لابنته، والكثير من عازفي الجاز قدّموا إلى سان جيرمان. صار جاز صاخباً جداً، ونزعة أدبية جديدة بدأت تتطوف. الفرنسيون في تلك الفترة، وبعدما صار متاحاً لهم ما كان محظوراً في السابق، حرّكت مشاعرهم كل الأشياء الأميركية: من الثياب وصولاً للقصص البوليسية. نشاهد على سبيل المثال الفيلم الصادر عام 1959، أي بعد مرور عشر سنوات على مغادرة آخر نازي من فرنسا؛ فيلم جان لوك غودار «انقطاع النفس» (A bout de souffle) ونرى كيف تتباهى الممثلة جان سيبرغ بلكنتها الأميركية الرخوة، والسعادة البادية على وجهها، إذ تقبض على أعداد جريدة «نيويورك تايمز» التي تبيعها. الفيلم كلّه أساساً مستوحى من فضاء الأكشن الأميركي. كان الأمر على هذا المنوال في سنوات بوريس فيان الذي استطاع أن يختزل في شخصه تجلّيات الحداثة الأميركية والفرنسية في آنٍ واحد. فأمير سان جيرمان نجح في التوليف بين بوهيمية فرنسية مع برسونا الأميركي اللامنتمي الذي يطوف في عوالم الفيكشن والجاز. انتهت الحرب إذاً وضجّت باريس في الأغاني والجاز وترافق ذلك مع حركة أدبية مجنونة. المنجزات الفرنسية على رأسها رواية «الغثيان» لجان بول سارتر و«الغريب» لكامو، ألهبت هذه الحركة الأدبية المشتعلة، وعزّزت التوق إلى كتابة ما لم يُكتب بعد.



بوريس فيان الذي ترعرع في عائلة تحظى بثقافةٍ أنغلوساكسونية، كان قارئاً نهماً منذ صغره للأدب الإنكليزي والأميركي. وجد في تلك الأثناء الفرصة لكتابة مغامرات باريسية بأسلوبية شعرية رفيعة، ولكتابة أميركا التي فتنته ولم يزرها. في سنوات الحرب، كان قد كتب قصّتين لم تحظيا بالاهتمام على الإطلاق، لكن الأمور تغيّرت في ما بعد. عام 1946، قرر بوريس فيان أن يكتب أكثر قصّة حبّ حزينة في التاريخ. نُشرت «زبد الأيام» (أو «رغوة الأيام»)، صدرت نسخة عربية منها عام 1990 عن «دار المأمون»، ترجمة مهند يوسف، بعنوان «زبد الأيام») سنة 1947، تلك الرواية التي كتبت بنفس شعريّ وصفها الناقد والمحرِّر الفرنسي رايمون كوينو بأنها «أجمل قصّة حبّ في التاريخ المعاصر». رواية «زبد الأيام» هي روميو وجولييت في «أليس في بلاد العجائب»؛ إنّها خرافة رومانسيّة، تحكي قصّة عاشقَين يعيشان حبّاً أفلاطونياً إلّا أنّ تعاقب الأحداث جعل فضائها ينمسخ؛ من الجنّة النقيّة نتهاوى فنغدو في فضاء ضبابيّ كئيب، يحيل إلى عالم أرضيٍّ تغمره الرهبة وطافح بالوباء، كأنّه سقوط من سماء المُثُل إلى قبو كافكاويٍّ موحِش. نالت رواية فيان إعجاب النخب الفرنسية (بقيتِ الرواية مغمورة خارج إطار النخب حتى عام 1967)، ولأنّ الثقافة الأميركيّة دخلت منازل الباريسيين مثلما اقتحمت الثقافة الباريسية أميركا، قرّر الناشر جان دالوين صاحب دار نشر جديد اسمه «سكوربيون»، التواصل مع بوريس فيان لكتابة رواية تنتمي إلى أدب الجريمة على طراز الأدب الأميركيّ الحديث. اعتبر فيان المشروع بمنزلة تحدٍّ، وبعد 15 عشرة يوماً سلّمه رواية ستكون الأكثر إثارة للجدل على مدى عقود: «سأبصق على قبوركم».

أدب معاصر، أدب مسيّس

بوريس فيان الذي مرّ على الأجناس الكتابية جميعها، كان لديه أكثر من اسم، ربّما لأنّه عرف أنّه أكثر من شخصٍ واحد، وبالتالي، ارتأى إعطاء هذه الشخوص أسماءً. ففي الشعر هو بيزون رافي، وفي المقالات والمسرح هو بارون فيسي، وأحياناً فهو بريفازون، أما في قصص الجريمة، فهو... فيرنون سوليفان. ولنا مع الاسم الأخير عودة. يبقى أنّ بوريس فيان هو وراء هذه الأسماء مهما تغيرت أنساق الكتابة وأنواعها، ومهما تلطّى وراء هويةٍ زائفة. وهذا يعني، أنّ أسلوب بوريس فيان لا تغيّره الأسماء مهما تنوّعت واختلفت، ذاك أنّ أسلوبيته على مستوى عالٍ من التعقيد والبناء المركب. لا نتكّلمُ عن سردٍ متدفّق كالسهم، وعن نثرٍ شعريّ شفّاف وكأنّ كاتبه ضلَّ طريق الشعر فحطّ في الرواية، ولا عن لغة صورية أو عن مونولوجات منضبطة تتجاوز دورها في الحكي وتسهم في صقل السرد، إنّما عن تراكيب جديدةٍ أوجدها فيان، وعن تعامل استثنائيّ مع اللغة يقوم على الحفر، والتركيب وخلق معانٍ جديدة. يتساءل: «إذا لم ألعب معَ الكلمات، ماذا لو وجدت للكلمات من أجل اللعب؟». وراء هذا اللعب المجنون والخيال الفانتازيّ الذي لم يخرج عن الطفولة، كان هناك مواقف وأفكار يطرحها نصف فيلسوف. ثمّة انحيازات سياسية بادية مع بوريس فيان، هناك واقعٌ يخضع للتشريح والنقد المقذع. لم يكتفِ فيان في تناول «الموضوعات الخالدة» التي أشغلت الحداثيين كالعبث، والخيبة والحب، بل تورّط في قضايا عصره في مقاربة راديكاليّة لا تخلو من السخرية واللّهو. مسرحيته من فصل واحد «تقديم للجميع» (L’equarissage pour tous) تتهكم على الحرب بوصفها ظاهرة لا طائل منها وخالية من المعنى. تسخر المسرحية من الاحتلال، ومن المتعاونين معه وممّن يحاربه كذلك. لم يعجب أحد بالمسرحية باستثناء جان كوكتو. «العشب الأحمر» (دار آفاق ـ ترجمة عادل الميري) وهي رواية تصبو إلى أدب السيرة الذاتية، نجد رصاصات بوريس فيان موجّهة إلى المحاور التي كرهها وحاربها طوال حياته: العائلة، العسكر، والدين. فيما يوجّه في أغنيته الشهيرة «الهارب من التجنيد» (Le déserteur) رسالة لاذعة إلى «سيادة الرئيس»، مفادها رفضه الانضمام للجيش للمشاركة في حرب الجزائر لأنّه لا يريد أن يقتل الفقراء. الأغنية تهشيم سلطوي، تقدّم رسالتها بطريقةٍ مباشرة بيد أنّ بذاءة مُضمَرة تختبئ في طيّاتها. أسلوب لم تتحمّله الديمقراطية الفرنسية فحظرت الأغنية.

الرواية الأكثر خلاعية على الإطلاق

بعدما اكتشف تعلّق الفرنسيين بعد الحرب بأفلام التشويق الأميركية وقصص الخيال الرديء، ارتأى جان دالوين إنشاء دار نشر اسمه «سكوربيون»، ينتج كتباً فرنسية تستمدُّ موضوعاتها من الأدب الأميركي الحديث. اقترح دالوين على بوريس فيان كتابة رواية «نوار»، أي أدب الجريمة، وافق الأخير بشرطٍ واحد: أن يكون اسمه فيرنون سوليفان. عندما ستصدر الرواية لاحقاً، سيصبح فيرنون سوليفان هذا، بطل دار النشر، وورقتها الرابحة. سيصبح أخطر اسم أدبيٍّ معاصر كذلك.

بالنسبة إلى الكثير من النقّاد، سبب استعانة بوريس فيان باسمٍ مستعار هو مسيرة أدبية خائبةً. فأدب بوريس فيان أخفق في جذب القراء، وكتبه لم تحقّق أرباحاً، كما أنّ اسم بوريس فيان، كأديب، ورغم تشجيع مشاهير سان جيرمانٍ واحتضانهمله -لا يزال- بقي مغموراً. بعض الأميركيين الذين نفروا من روايته «سأبصق على قبوركم» اتّهموه بالجُبن. قالوا عنه «جبان»، تلطّى وراء هوية زائفة لأنّه يعلم أنّ حقيقة أميركا لا تشبه ما كتبه عنها. مهما يكن، فيرنون سوليفان كتب رواية اسمها «سأبصق على قبوركم». الرواية ترجمت إلى العربية مرتين؛ المرة الأولى عام 2019 عن «دار مسكيلياني» بعنوان «على قبوركم» بترجمة رائعة لوليد الفرشيشي، (عبثاً حُذفَ فعل «سأبصق» من العنوان الرئيسي، وكأنّ الحذف هنا، هو بحدّ ذاته جزء من الترجمة إلى العربية)، أما الترجمة الثانية، فصدرت أخيراً عن «دار ظلال»، بترجمة ركيكة جداً من شوقي برنوصي حيث يخال القارئ أنّه لا يطالع نصّاً متماسكاً بل جملاً مشتّتة ترجمها غوغل.

في مقدّمة الكتاب يورد بوريس أنّه مترجم هذه الرواية، وتنبّأ بمصيرها، يقول إنّ كل دور النشر رفضت نشر هذه لكن جون دالوين، أي الناشر، وافق على نشرها مترجمة، بعدما أقنعه سوليفان فيها. يخلق بوريس فيان قصّة عنِ القصّة. كأنّه يصرّ على وجوب وجود مرآةٍ تقع بين كلا الأدب والحياة وتعكس الاثنين. ألاعيبه لا تنتهي: في السابق وظّف صديقه (لوستالو) في نصوصه، وجلب سارتر إلى روايته «زبد الأيام» باسم مختلف هو جان بول بارتر، وكأنّ الإحالة لا تكفيه، بل يريد إيجاد تناصٍّ بين الواقعيّ والخياليّ. لي أندرسن، بطل الرواية «سأبصق على قبوركم» هو شخصيّة من نسج الخيال، يعيش في أميركا حقيقيّة؛ تلك البلاد الطافحة بالعنصرية حيث أصحاب البشرة السوداء دائماً ما يُقْتَلون بسبب عرقهم؛ يعيشون في مجتمع لا يحب أن يراهم خارج القفص. لكنّ لي أندرسن «يتجاوز الخط»، أي إنه يمتاز بجينات و«دماء» سوداء لكنّ بشرته بيضاء، ولأنّه كذلك فيريد الانتقام لأبناء بشرته، تحديداً لأخيه توم و«للصبي الصغير». قصّة من أدب الجريمة طافحة بالتشويق، يعرف هذا النمط بالخيال الرديء (pulp)، وقصّة فيان برمّتها، تقوم على القتل والاغتصاب والثأر، سيحبّها كوينتن تارانتينو بلا شكّ.

يكتب بوريس فيان قصّته برشاقة أدبية، في أسلوبٍ سريع لا يهدأ، يتمايل، تتعاقب المَشاهد المرسومة، فيرنون سوليفان كالذي ينفخ على ترامبيت ويعزف موسيقى «سوينغ». إذا كان بوريس فيان قد كتب أجمل وأكثر قصّة حبٍّ حزينةٍ في التاريخ المعاصر، فقد انقلبَ على نفسه رأساً على عقب بعد أشهرٍ قليلة وانتقل إلى الضفّة النقيضة، أراد مِن «سأبصق على قبوركم» أن تكون أكثر رواية نافرة، جلفة، واشمئزازية في التاريخ المعاصر. فطريقة لي أندرسن في الانتقام تفرض التلاعب في النساء البيضاوات، واستغلال مشاعرهنّ، وممارسة الجنس معهن. يتعرّف لي أنرسن إلى شقيقتَين ثريّتين من البشرة البيضاء، يتحكّم فيهما بعد أنْ أغرمتا به، ومن ثمّ يقتلهما بعدما اغتصبهما، وينتهي به المطاف مقتولاً على يد الشرطة التي كشفت جرائمه. يُشنق لي أندرسن في وسط الساحة، لكنّ قضيبه يبقى منتصباً. هكذا، يعلن فيان عن موقفٍ أراد تمريره: يموت الضحية الذي صار جلّاداً، إلّا أنّ المعاناة والعنف، المتمثّلَيْن برمز القضيب المنتصِب، راسخان يعجز النظام عند تحقّقه على محوها.

«سأبصق على قبوركم» رواية فاقعة، خلاعيّة، مفرطة بالعنف. نجد إيروسية خوتاء؛ ذات تبيح لنفسها الاغتصاب، وجرائم قتل، هي شخصية تهتاج على الجثث، بيد أنّ للرواية نزعةً سياسيّةً تنأى من ميلٍ عبثيّ دائماً ما لاحق بوريس فيانَ؛ هي رواية تقع على النقيض من «الأدب الجميل» أوّلاً، وربما من الأدب كأدب ثانياً كونها صيحة أنثروبولوجية غاضبة. علّق جايمس بالدوين على الرواية كالآتي: «عرف بوريس فيان حقيقة المعاناة التي يتعرّض لها الزنوج في أميركا جرّاء استماعه لقصصهم في حانات سان جيرمان». لقد أراد فيان من روايته هذه أن ينتقم بنفسه لهم. لكنّ وجهين متناقضين ستحملهما الرواية هذه لبوريس فيان. ستفتح له المجال أمام شهرةٍ واسعة، ولحصوله على مهنةٍ جديدةٍ هي الترجمة حيث سبق أن عرَّف عن نفسه بوصفه مترجم الرواية وليس كاتبها، وطبعاً على عدد هائل من المبيعات سببها أولاً الدعوى التي رُفِعتْ عليه لأنّه ترجم عملاً عنيفاً، مستهجناً إذ إنّه «يخالف الحشمة»، وثانياً لأنّ جريمةَ قتلٍ حدثتْ، والقاتل ترك الرواية في مسرح الجريمة حيث الصفحات مفتوحة على مقطع يصف فيه فيان مشهد قتلٍ، ما أدّى إلى منع الرواية في فرنسا ومحاكمة بوريس فيان. أمّا الوجه الآخر، فسيكون عندما قرّر المخرج ميشال غاست تحويل الرواية إلى فيلم؛ الفيلم الذي من فرط ما أثار حنَقَ بوريس فيان، قتله. وهي نهاية مأساوية لمن كتب عن الأسى وغنّى عنه.

> روايته «على قبوركم» صدرت بنسخة جديدة عن «دار مسكيلياني»

قصة قصيرة

الرحلة إلى جبل قاف*

محمد سعيد احجيوج (**)

قبل أن ينام، وعلى نور باهت يحاذر أن يقلق نوم زوجته المستلقية على الطرف الآخر من السرير، قرأ قصة «التحول» الشهيرة لفرانز كافكا، وحين بدأت أشعة الشمس تتسلل من خلال الستائر، فتح عينَيه، ليجد نفسه صار سجينَ تحولٍ لا يكاد يختلف عن مصير غريغور سامسا. وجد نفسه كأنه مستر هايد انمسخ من دكتور جيكل. بل وجد نفسه كأنه جواد الإدريسي في رواية «كافكا في طنجة» (1) التي قرأها أولاً قبل أن يجد طريقه نحو قراءة كافكا. لكن، سأكون واضحاً، هذا مجرد تخمين. حتى لو عرفنا لاحقاً أن بطلنا اسمه جواد هو أيضاً، فهذا لا يعني بالضرورة أنه سيشارك جواداً الآخر المصير نفسه. لا داعيَ للاستعجال. «لا نملك أن ننظر إلى المستقبل»، كما قال ساراماغو. أو كما قال كيليطو: «لنكن حذرين، لنحرص على عدم الخلط بين الحكايات، لنتجنب التأثر بأوجه شبه مبهمة». أما بالنسبة إلى حكايتنا؛ فقد فات الوقت على هذا التحذير. حتى لو أن الأمر يتعلق بشخص آخر، شخص يحمل الاسم نفسه وليس أكثر، فإن الضرر قد سبق أن وقع. أو، ربما لا. إنها رواية وأنا أملك الحق، كل الحق، أن أتوقف وأغير الحبكة، وكل شيء آخر. بالتأكيد هذا سيغضب القارئ، لكن منذ متى لم يكن القارئ غاضباً مني؟ لنترك إذن حكاية جواد مع الانمساخ جانباً، ولنجرب حكاية أخرى. يمكننا أن نبقى قريبين، وكما اعتمد احجيوج في روايته «كافكا في طنجة» على رواية «التحول» لكافكا، ستعتمد روايتي هذه على رواية كافكا الأخرى البارزة: «المحاكمة».

قبل المتابعة، توضيح: لم أقرأ «المحاكمة» بعد، ولا أعرف إذا كنت سأفعل قبل كتابة هذه الرواية. على الأرجح لن أفعل. لديَّ فكرة عامة، مبتورة لا شك، ولا شك هذا أفضل عن الرواية تلك، وسأكتفي بذلك.

إذن: قبل أن ينام، وعلى النور الباهت لمصباح غرفته الضيقة المتشققة الجدران المقشرة الطلاء والعارية من الأثاث، قرأ رواية «المحاكمة». وما إن بدأت أشعة الشمس تجتاح الغرفة من التمزقات العدة في ستارة النافذة، حتى فتح عينَيه. لم يكن ضوء النهار ما أيقظه، بل طرقات سريعة متتالية على الباب غزت سكون غرفته، وهو لم يأخذ بعد كفايته من ساعات النوم، فما إن أطفأ المصباح ليلاً بعدما قرأ «المحاكمة» كاملة، حتى بدأ السرير يهتز في غرفة النوم في الشقة الملاصقة لشقته، وبدأت التأوهات المفتعلة من المرأة التي اكترى جسدها طلاب الجامعة الثلاثة القاطنون في تلك الشقة والذي سيمرون، بالتناوب، على ذلك الجسد طوال الليل، وسيبقى جواد مستيقظاً لا يملك إلى النوم سبيلاً، إلى أن يهمد ثالثهم، فينام جواد، أخيراً، بعد أن يكون قد أودع ماءه سريره ثلاث مرات، تدفعه تأوهات المرأة دون إرادة منه لمحاكاة الشباب الثلاثة. ثم حين بدأ ينزلق في الطريق الضبابي لعالم الأحلام، اندس الجسد الفتي تحت الغطاء بجانبه، وأطبقت شفتا الصبية على شفتَيه، قبل أن تدفعه وتعتليه، ويغيب في النوم إلى أن جاءت الطرقات على الباب. فكر أول ما فكر في تجاهل الطارق لعله يعود لينال ما يحتاج من نوم، إلا أنه عرف أنّ الطرقات تلك لن تتوقف، ولا فرصة لديه ليكمل نومه.

هناك كانت واقفة، بعد أن قام وفتح الباب، ساحرة كما كانت وهي تعتليه ليلًا. الصبية نفسها التي لم يلقها في حياته يوماً، إلا في الحلم السابق. هي نفسها بلحمها وشحمها، كما يقولون، أو لحمها وعظمها فلا شحوم زائدة عن الحد في جسدها الفتي. إنها هي وقد غادرت الحلم إلى الواقع إلا أن يكون لا يزال يحلم، وسيكون هذا مريحاً، خاصة أنها لم تكن وحدها، بل تحمل بين ذراعَيها طفلاً رضيعاً، خمَّن أن عمره بضعة أسابيع، كما خمن نسبه، تماشياً مع منطق الأحلام. مدت الصبية الرضيع بامتداد ذراعَيها نحوه وقالت: «خُذ ابنك». مد يدَين مترددتَين لحمل الرضيع. وما إن استكان الرضيع هناك، حتى تراجعت الصبية وغادرت، تاركة جواد على الباب بين ذراعَيه رضيع قالت إنه ابنه، هو الذي لم يلمس يوماً امرأة، إلا في الأحلام. لا مشكلة، فكر جواد، إنه حلم، كابوس بالأحرى، بتأثير من الرواية العبثية التي قرأ قبل أن ينام، ويمكنه الاستيقاظ في أي لحظة.

لكنه لم يكن حلماً، ولا قريباً من ذلك. إلا أن تكون حياتنا كلها حلماً داخل حلم.

جواد في مأزق الآن، ولعله لم يدرك ذلك بعد. يحتاج إلى بضع دقائق ليخرج من حالة تبلد الأحاسيس التي دخلها. يمكنني أن أساعده هنا حتى لا يهدر مزيداً من الوقت. حان الوقت ليفتح الرضيع عينَيه ويطالب بحقه الطبيعي. أعاد بكاء الرضيع جواداً إلى وعيه، فنظر إلى العينَين الواسعتَين، الأنف المحدب قليلاً وذلك التقوس الخفيف في شفتَيه. إنه ابنه بكل تأكيد، فكر جواد. الشبه واضح. يبدو أن جواد استغرق وقتاً أطول مما يجب في التحديق، فزم الرضيع شفتَيه قبل أن يقول، ببراءة الأطفال المعهودة دون أي نية لإخفاء تذمره: «لا تقف مذهولاً، أنا جائع. أطعمني». غمر الارتياح جواداً. رضيع يتحدث! إنه حلم بكل تأكيد، قرر جواد، وهذا مريح طبعاً، على الرغم من طابع السوريالية، أو العبثية، غير المفهومة التي تطبعه. وجد جواد أنه من الأسهل أن يساير الأمر، فرفع قميصه وألقم الرضيع ثديه. لم يندهش جواد من الحليب الذي تدفق من صدره إلى فم الرضيع، فهو لم يقرأ ما كتبته أعلاه: «هذا ليس حلماً، ولا يعلم، ولا يمكنه أن يعلم، إنّه شخصية في روايتي هذه».

أما بالنسبة إليَّ؛ فقد وضعتُني في مأزق. لا أعرف كيف أكمل الحكاية، وبالتأكيد سأدفع القارئ لقتلي إذا قررت تغييرها مرة أخرى، لذلك لا مفر من المتابعة.

لدينا الآن رضيع قالت أمه لجواد إنه ابنه. هو لم يلمس تلك المرأة، ولا غيرها، غير أن الشبه كبير جدّاً بين الأب والابن المفترض. بل الحقيقة هو يدرك في داخله أنه ابنه، ويمكنني إقناعكم بسهولة بإضافة مشهد لاحق لإجراء جواد تحليلاً للحمض النووي لإثبات البنوة. هنا، على نقيض جواد في «كافكا في طنجة» الذي أخبرته التحاليل الطبية أنه عاقر، وبالتالي زوجته التي حبلت مرتَين خانته مرتَين على الأقل، فإن جوادنا نحن، العازب الذي لم يدنس امرأة، ستؤكد له الاختبارات الطبية أن الرضيع ذاك ابنه الذي من صلبه. إذن لدينا امرأة حبلت دون دنس، كما أن لدينا رضيعاً تكلم وهو في المهد. لا ينقص سوى حضور الروح القدس في هذه الرواية، لأحصل رسميّاً على تهمة التجديف الديني.

همسة: هذه الرواية، (لم تعد رواية الآن، إنها قصة قصيرة ضمن مجموعة قصصية عنوانها: «الرحلة إلى جبل قاف»)، هذه الرواية نفسها هي الروح القدس. أما الأب، جواداً أقصد، فهو أب فقط. ماذا توقعتم أن يكون؟

لا أزال أختنق نفسي وأصعب عليَّ سبر أغوار الحكاية.

لكن لا بد من وقفة حول موضوع الحَبَل دون دنس هذا. التفسير اللاهوتي المسيحي معقد جدّاً. بالنسبة إلى روايتنا هذه الأمر بسيط: جواد واقع تلك المرأة فعلاً في الحلم. لكن هذا العالم الروائي الذي خلقته، أخلقه، له قواعده الخاصة التي تختلف عن قواعد عالمنا الذي نعيش فيه. لذلك لا يوجد ما يمنع حدوث الحمل في هذه الرواية دون مواقعة مادية مباشرة؛ الأحلام تفي بالغرض. لا جديد في الأمر، موراكامي سبق أن فعل ذلك في العالم البديل، ذي القمرَين، الذي خلق.

أما التفسير اللاهوتي، فيصطدم بتناقض الحكايات بين التشهير اليهودي الصرف الذي يعتبر مريم زانية، وبين التعقيد المسيحي الذي يعتبرها متزوجة لكن الرب تدخل في تخصيبها عبر زوجها يوسف، وبين التنزيه القرآني الصرف الذي يؤكد عذريتها وسلامتها من تدنيس أي بشر أو جن.

الآن كم جواد لدينا؟ أولاً، جواد «كافكا في طنجة» الذي استيقظ ذات صباح ليجد نفسه تحول مسخاً، على غرار «مسخ» كافكا. ثانياً، جواد «ليل طنجة» السابق زمنيّاً على جواد كافكا، الزوج المخدوع من زوجته الذي يستسلم في النهاية ويسلم نفسه لامرأة أخرى. ثالثاً، جواد «متاهة الأوهام»، الكاتب التائه في عالم الحكايات التي يكتبها، أو التي تُكتب عنه. رابعاً، جواد حكايتنا هذه.

طرفة هنا: حين كتبتُ الجملة الأخيرة «جواد حكايتنا»، جاء إلى ذهني أنّ جواداً هنا بمعنى الحصان. لم يخطر هذا المعنى على بالي من قبلُ، رغم حقيقة أنّ الرواية الأولى لم تكن فعليّاً عن جواد الإدريسي بقدر ما كانت عن عائلته، عن تحولات عائلته كما عن تحولات المدينة، أي إنّه كان أداة لتحريك الرواية، حصاناً يقودها، فهل سيكون جواد هذه الرواية هو الآخر حصاناً ليس أكثر؟ لا أظنني سأفعل ذلك، فرغم السلبية التي ستغلف جواداً هنا، إلا أنّه سيكون البطل الحصري لهذه الرواية. لكنني قلت إنها لم تعد رواية، وحولتها إلى قصة قصيرة. لا طاقة لديَّ لكتابة رواية الآن، بل لا طاقة حتى لإكمال هذه القصة. مَن سيمنعني من التوقف هنا قبل أن تصير القصة متاهة لن يغامر أي قارئ بالتعمق فيها؟

حسناً، سأخالف احجيوج هنا، وسأمنح بطلي بعض الحرية. أقول «بعض» لأنه بكل تأكيد لن يكون حر الإرادة مطلقاً. فأن أمنحه حرية التصرف المطلقة، يعني أن أمنحه قوة تعادل قوتي. أن يمتلك الإرادة الكاملة، يعني أنه لن تكون لي سلطة عليه، ولا على تفكيره، ويمكنه ببساطة أن يصل إلى حقيقة أنه شخصية في رواية يكتبها كائن وُجد قبله في عالم مختلف بقواعد مختلفة. أو ربما هذا هو الحل. فعلاً، هذا هو المَخرج:

فجأةً انتبه جواد إلى الحقيقة، إلى أنه شخصية في رواية وجد كاتبها نفسه عاجزاً عن إكمالها. ابتسم جواد بركن فمه وغمغم: «هذا مجرد وهم». ثم رفع صوته، وركز إرادته أكثر: «وهم، هذا مجرد وهم»، فتلاشت الموجودات حول جواد، ووجد نفسه يطفو في فراغ كثيف الظلمة، ثم أحس أن قوة جاذبة تسحبه إليها سريعاً، لم يملك أمامها أي قدرة على المقاومة، وظهرت في البعيد نقطة ضوء تقترب بسرعة وتتضخم، وأحسّ أنّ الحرارة ترتفع وبألم رهيب كأن خلاياه، خليةً خليةً، تحترق بسعير الشمس، كما أحس أنّ قوة رهيبة تضغط عليه كأنها تريد منع خلاياه من التبخر بسبب تلك الحرارة، ثم توقف كل شيء، ووجد نفسه في غرفة شديدة الإضاءة، كل الموجودات فيها ضخمة، معلقاً رأساً على عقب، ويد ضخمة تمسكه من قدمَيه، ويد أخرى تضرب على مؤخرته. وفجأةً أدرك معنى ذلك، وعرف أين هو، وشهق يبكي.

(*) قصّة من مجموعة بالعنوانِ نفسِه، صدرت حديثاً عن «منشورات مرفأ» (بيروت/ إسطنبول)

(**) طنجة/ المغرب

(1) كافكا في طنجة» رواية صدرت للمؤلِّف عن «دار تبارك» في القاهرة في عام 2019؛ و«ليل طنجة» عن «دار العين» في القاهرة (2022) وأخيراً «متاهة الأوهام» عن «منشورات نوفل» في بيروت (2023). بالتالي فالقصة أعلاه تشتغل ضمن لعبة سردية على تداخلات نصِّيَّة تحيل على مجموع الأعمال السرديَّة للمؤلِّف نفسِه.

تفصيل من غلاف الكتاب

قصائد

أعمى على قطار تجرّه الخيول

صالح رحيم*

1. تابوتٌ

تابوتٌ من العطايا أحمله على ظهري
طوالَ العمر
لثلاثِ نساءٍ يطاردنَ وطواطاً أعمى
ينفتحُ تابوتٌ،
من قعره
تلتقطُ امرأةٌ مفتاحاً
تأخذ أخرى المفتاحَ لترميه في نهر
ساكن تأخذُ الثالثةُ التابوتَ بأكمله
لترميه في النهر الساكنِ نفسه.
التابوتُ يطفو، يظلُّ طافياً لأسابيع،
فيما النسوة الثلاث، يطاردنَ وطواطاً
أعمى.
أحملُ التابوتَ على ظهري
وأنشغلُ بالغد.

2. عسل العزلة

في الشوارع الخالية
إلا من البيوت الجاثمة
كالمقابر على أشلاء سكناها
في الشوارع المترعة بالتراب
في الشوارع التي تشبه أنهاراً من
عسل العزلة، وخمرِ الكآبة الوفير
في الشوارع الظمآنَة للمطر
في الشوارع التي تنتظر خطوات
الغائبين
في الشوارع الفارغة تماماً من البشر
في هذه الشوارع يا ربة الشعر
البخيلة
أشعر بالخوف
عندما أسمع صريخ حصباء
تحت عجلات سيارة تسير ببطء
في هذه الشوارع
أضطرُّ - غيرَ باغٍ - إلى الخروج ليلاً
بحثاً عن هَوايَ
في الشوارع المقفرة
في الشوارع التي لا تكفُّ عن الحياة
في الشوارع هذه
في الشوارع تلك
في كل الشوارع يا ربة الشعر
لا شعر ولا بطيخ
وحده السكون بين لحظة وأخرى
ينفجرُ غير عابئٍ بحياتي!

3. كلُّ العباد أنا

إلى أبي العلاء المعري
هذا الجسد الذي هو آثار كائن كنته
استراح مني ذات يوم
كما تستريح عكاز من صاحبها
إذ لا ينفع - الذي كنته - عكاز
ولا ينفع الذي أكونه اليوم
لأن أمشي على التراب
إنني أطير يا أبا العلاء
محض رسمٍ هو
تشكيلة بشرِية تحاول أن تطير
مترهبة من لحظة قاسية
هي مصير كل الكائنات
جحيمٌ تصطلي الروح من الداخل
هذا الجسدُ
بركانُ اضطراب وأسى
سوف ينفجر ذات يوم
وخائفٌ أنا يا أبا العلاء،
ما كانَ هابيلُ أولَ من مات،
بل الغراب،
حتى الغراب ما كان أول الغربان
مشدود العينين أمشي - يُكَبِّلُني
هلعي - ومن وراء النقاب
أرى الحمامة تبكي
لو أن لي عينين تزيلان هذه السحب
الكثيفة
لو أن لي خنجراً يخترق هذا السواد
الخبيث
خفيفة هذه الآثار
أخفُّ من النسمة على رفات العباد
كُلُّ العباد أنا يا أبا العلاء
والوطء، كل الوطء
ما أنا
إلا سواه..

أوجين أتغي ــ «مقطورةٌ تجرُّها خيولٌ» (باريس 1910).

* المثنَّى/العراق

نصّ

بالحب وحده*

بلال خبيز

«بالحب وحدو إنتا غالي عليا بالحب وحدو إنتا ضيّ عنيا». قد تكون هذه الجملة بين جمل أخرى غنتها أم كلثوم أصدق تعبير عن الحب. لن يكون المحبوب غالياً إلا إذا كان محبوباً. ولن تكون العين ضرورية إلا حين ترنو إلى المحبوب.

قد يرى كثيرون أن هذه الجملة لا تختلف في فحواها عن الكثير ممّا كُتب شعراً في الحب والهيام. وقد نجد الكثير من الجمل التي تؤدي معنى مشابهاً للمعنى الذي ذهبت إليه أغنية أم كلثوم. إنما مع ذلك، يسعنا أن نستقرئ هذه العبارة بوصفها مثلاً عن كل العبارات التي كُتبت وغُنيت وأُنشدت.

ما تقوله العبارة حاسم في واقع أننا حين نحب، إنما نكون في حاجة إلى الحب. الحب ينبع من وحدتنا، ومن ضجرنا وطول أيامنا التي نقضيها وحيدين. الحب هو منتج من منتجات أوقات الفراغ. وحين تثقل علينا الوحدة ويأكل ساعاتنا الضجر، نحسب أنّ شخصاً آخر ما في مكان ما في الجوار، قادر، بحضوره، على أن يمنع عنا الضجر وأن يحقق لنا قدراً من البهجة. ليست كل حكايات الغرام على هذا القدر من التبسيط. لكن ذلك لا يمنع أن يكون الحب بسيطاً في غالب الأوقات. لن نشعر بالحب حين نكون ملاحقين من عصابة، أو حين تطاردنا الطائرات الحربية. في هذه اللحظة لا نفعل شيئاً أكثر من محاولة النجاة. نشعر بالحب يفيض من قلوبنا حين نكون في لحظة الراحة، لحظة التذكر أو لحظة الاستسلام. والحق أننا نحب كل من يسمح لنا بأن نقلع عن الاهتمام بشؤون الدنيا الضرورية، ونحب كل من يسمح لنا أن نستعيد ذكريات متألقة، ونحب كل من يشعرنا أن الوحدة، التي لا تتحقق إلا في أوقات الفراغ، يمكن ملؤها بالرفقة المناسبة.

نرى المحبوب لأن العين في أوقات الوحدة تصبح عيناً رائية. قبل ذلك وبعده تكون العين حاسّة تعيننا على تجنّب المخاطر ومعاقرة النشاطات التي يتوجب علينا القيام بها. العين تصبح رائية، لأن وحدتنا تدفعنا إلى تحويل المحبوب من شخص عابر إلى شخص مقيم، ولأن المقيم طافح بالتفاصيل، وطافح بالمعاني، وعلينا أن نكتشف كل تفاصيله ونستقرئ كل معانيه. لكنه حين يكون عابراً لا يمكنه أن يتجاوز حد إعجابنا بشكله أو جسمه الذي يحيل إلى أشكال وأجسام نعرفها وسبق أن اختبرناها. واقع الأمر أننا نستحسن كل ما هو جديد وغير مستعمل، أو أنّ الأصلح هو كل ما يبدو جديداً وغير مستعمل. نستحسن النظر إلى الأجسام التي لم تستعمل بعد، الأجسام التي ليست ممتلئة ولا فارغة، الأجسام التي قد تغير في تفاصيلها الحياة ومعاقرتها، لأن الجسم غير المستعمل هو جسم محايد ويمكنه أن يصبح في المستقبل شبيهاً بجسم المحبوب. الرشاقة بالنسبة إلى عين الباحث عن الحب والذكرى هي احتمال، جسم في وضع الاستعداد لأن يصبح حياً، جسم ينتظر صاحبه رفقة ليتشكل على النحو الذي يشكله الحب. وهو بهذا المعنى محايد وغير شخصي. مع ذلك تريدنا المجتمعات المعاصرة أن نتخلى جميعاً عن ملكية أجسامنا ونسلّمها للناظر العابر كي يتذكّر ويحن ويشتاق.

بالعودة إلى جملة أم كلثوم، يبدو الجسم الذي يحوله الحب إلى ضوء العين، جسماً مختاراً. بين كل الأجسام العابرة والمحايدة وغير المستعملة، ثمة جسم واحد يناسب نظرتنا إليه. جسم قد تكون هيئته مشكلة من ذاكراتنا وخبراتنا وأوقات أنسنا. لهذا تبدو أم كلثوم وهي تغني هذه الجملة باحثة عمّن يعوّض ما خسرته في حيوات وقصص غرام سابقة. جسم المحبوب في هذه الجملة هو جسم مكوّن من تفاصيل سبق أن أسهمت في تكوين نظرتنا ورؤيتنا. وهو بهذا المعنى استعادة لقصص حب سابقة، وأجسام عبرت في حياتنا، وما زلنا نحنّ إلى زمنها، ونأمل أن ينجح جسم المحبوب الراهن بإبقاء ذكرياتنا حيّة ومعيشة على نحوٍ من الأنحاء.

لكن هذا كله يقع في النظري والتأملي، إذ ما الذي يمكن أن نحسبه تذكراً شخصياً في عالم اليوم؟ عالم طافح بالصور، إلى حد أننا نقيس الناس، كل الناس، بمقياس هذه الصور. صور ممثلين وممثلات تعودنا حضورها وباتت جميلة بحكم هذا التعود، وصور أوضاع أجسام تعودنا حضورها في يومياتنا وعلى شاشاتنا وباتت تشكل مقياسنا لتقبل الأجسام الحية التي تعيش حولنا. هذا العالم لم يعد شخصياً، والأرجح أنه يعتدي على ذاكرتنا بتلقيننا ما يجدر بنا أن نظنه جزءاً من حيواتنا ويومياتنا. لهذا كله يبدو محبوب أم كلثوم آتياً من زمن غابر. زمن كانت العين فيه تأخذ استراحات طويلة من النظر، ولا تكتفي بدورها كوسيلة لتجنب المخاطر. زمن كنا فيه، كأفراد أكثر انجذاباً إلى وحدتنا، وحدتنا التي من دون تحققّها لم نكن لننجح في أن نحسب كسر الوحدة حباً، لأننا نخاف من وحدتنا ونحسبها تقرّباً من الموت.

محبوب أم كلثوم، هو محبوبنا الذي لم نعد نلمح له ظلاً في يومياتنا. هو المحبوب الذي كانه شركاؤنا ذات يوم، وبالتأكيد ليس محبوبنا الذي نراه اليوم. محبوب أم كلثوم هو أمس شركائنا. يومهم السابق، أما حاضرهم وراهنهم فلا وظيفة له إلا التهيّؤ ليصبح غداً يوماً سابقاً يمكننا أن نحوّله إلى ضوء عيوننا. نحن على الأرجح ما زلنا نحب كما كان أسلافنا يختبرون الحب. لكننا بتنا نحب صورة المحبوب ويومه السابق، في حين أن أسلافنا القريبين كانوا يحبون حاضر محبوبيهم لا ماضيهم المصور.

الجملة الواردة أعلاه من أغنية أم كلثوم «ليلي ونهاري» التي كتب كلماتها عبد الفتاح مصطفى ولحنها رياض السنباطي وأنتجت عام 1962.

تفصيل من غلاف الكتاب

(*) مِنْ كتاب «حُبّ إيه» الصادر للكاتِب حديثاً عن «دار النهضة العربيّة» في بيروت.

مذكرات

آدا غودريتش فريير: كانت تسمّى فلسطين...

سلوى دبوق

في خضم الهجمات الإسرائيلية الشرسة على لبنان، وما صاحبها من فظائع واستهداف لقيادات المقاومة، وبعد مرور عام على بدء العدوان الدموي على غزة الذي أودى بحياة آلاف الفلسطينيين، عادت بعض الأصوات داخل الكيان العبري لتُروِّج مجدّداً لفكرة «إسرائيل الكبرى» زاعمةً أن فلسطين هي أرض «شعب الله المختار» وأنها كانت خالية من السكان قبل وصول المستوطنين الصهاينة إليها. في ظل هذه الادعاءات، تبرز الحاجة الملحة إلى كشف الحقائق التاريخية التي تُفنّد هذه المزاعم الصهيونية، وخصوصاً عندما تأتي هذه الحقائق من مصادر أجنبية، تطبيقاً لمبدأ «شهد شاهد من أهلها».

في هذا السياق، تكتسب مذكرات الكاتبة الإنكليزية آدا غودريتش فريير التي مُنعت طويلاً من النشر أهميّةً خاصة. هذه المذكرات ـ التي صدرت في كتاب «اسمها فلسطين» (1913) الذي انتقل أخيراً إلى المكتبة العربية (دار الرواق ـ ترجمة خميلة الجندي)، تُوثّق كل جوانب الحياة في فلسطين في مطلع القرن العشرين إبان الحكم العثماني.

تُعبّر الكاتبة، التي جاءت إلى فلسطين للحج، عن انبهارها بسحر الأرض المقدسة الذي لا يمكن وصفه بالكلمات وحدها، فهو إحساس يتغلغل في الروح قبل أن يراه المرء بجوارحه. في فلسطين، كل حجر وكل زاوية يرويان قصة من قصص التاريخ، حيث تتداخل الأساطير بالواقع. من جبالها الصخرية إلى سهولها الخصبة، يحمل المكان عبق العصور الماضية، فيشعر الزائر كأنه يسير في دروب الأنبياء والقديسين، ولا سيما أنّ هذه الأرض كانت مسرحاً لأهم الأحداث التي شكلّت مصير البشرية. لا ينحصر جمال فلسطين وفقاً للكاتبة في مناظرها الطبيعية فقط، بل في الطاقة الروحية التي تنبعث من كل شبر فيها، فلكلّ مدينة وسهل وجبل قصة تنتظر أن تُروى، من القدس إلى بيت لحم، من الناصرة إلى أريحا. هذا السحر لا يمكن تفسيره بالمنطق، إنه التجربة الروحية التي تستحوذ على كل من تطأ قدماه أرض فلسطين، حيث يتلاقى الماضي بالحاضر في كل خطوة يخطوها المرء.

تتوقف الكاتبة بإعجاب عند بوابة يافا، إحدى بوابات القدس الرئيسية، حيث تتجلّى الحياة الفلسطينية بكل تنوعها وثرائها. في هذا المكان الذي يربط المدينة القديمة بالعالم الخارجي، يجتمع الفلاحون القادمون من القرى المحيطة بملابسهم التقليدية لبيع منتجاتهم الزراعية، بينما يتجوّل التجّار بين الأكشاك المتناثرة، ويعرضون سلعهم للمارة. تحت أشعة الشمس الساطعة، تسير الحياة بنمط هادئ، يشوبه صوت المؤذنين وصخب الباعة، في مشهد يعكس روحانية المكان وأصالته. يختلط في هذا المشهد رجال الدين، والبدو الذين يأتون بأغنامهم، والسكان المحليون الذين يرتادون الأسواق. هكذا، تشعّ البوابة بروح الشرق القديم، وتنعكس فيها أنماط الحياة التي لم تتغيّر منذ قرون، رغم التأثيرات الأوروبية المتزايدة.

تعرض آدا غودريتش فريير لحياة الفلسطينيين في البادية حيث يقومون برعي الأغنام ويسكنون الخيام. وتصف العادات والتقاليد البدوية في فلسطين مثل كرم الضيافة والحروب القبلية. كما تُلقي الضوء على الفروقات بين الحياة في القرى، حيث يعتمد الناس على زراعة الخضر والزيتون، وحياة المدن التي تُركِّز على التجارة والصناعة. تُقدِّم كذلك وصفاً دقيقاً للتفاعل بين الأعراق المختلفة التي تعيش في هذه المدن من عرب وأرمن وأتراك.

تتناول الكاتبة أيضاً بإسهاب الحالة الدينية في فلسطين في أوائل القرن العشرين، حيث كانت البلاد مركزاً للتعدّدية الدينية التي تجمع بين المسلمين والمسيحيين واليهود. كانت الحياة اليومية متأثرة بالتقاليد الدينية كالصلاة والصوم، فالمسلمون الذين يُشكّلون غالبية يؤدون صلواتهم في المساجد والشوارع والمكاتب الحكومية. المسيحيون كانوا يعيشون في مناطق مختلفة من فلسطين، وخصوصاً في القدس وبيت لحم والناصرة، وكانوا يتبعون طوائف مختلفة كالأرثوذكسية الشرقية والكاثوليكية، في حين تجذب الأماكن المُقدّسة مثل كنيسة القيامة في القدس وكنيسة المهد في بيت لحم الحجّاج من جميع أنحاء العالم. أما اليهود، فكانوا يحتفظون بوجودهم الديني في مناطق مثل القدس والخليل، ويمارسون شعائرهم عند الحائط الغربي. ورغم التعايش بين الديانات الثلاث، أشارت الكاتبة إلى وجود بعض التوترات حول السيطرة على الأماكن المقدسة. تشير آدا غودريتش فريير إلى تنامي النفوذ الأوروبي في فلسطين مع مطلع القرن العشرين، ما أحدث تحوّلات اجتماعية ملموسة في شتى مناحي الحياة. فقد شهدت البلاد قدوم الاجانب الذين شيّدوا المؤسسات التعليمية والصحية، مساهمين بذلك في الارتقاء بمستوى التعليم والرعاية الطبية، ولا سيما في الحواضر الكبرى كالقدس ويافا. وقد لعبت هذه المنشآت، التي كانت تديرها في الغالب الإرساليات التبشيرية، دوراً محورياً في تثقيف جيل جديد من أبناء فلسطين، فاتحةً أمامهم آفاقاً للتعلم والترقّي الاجتماعي. كما صاحب الوجود الأوروبي إدخال أنماط معيشية مستحدثة، فبدأ سكان المدن الفلسطينية في تبني بعض العادات الغربية، كارتداء الأزياء العصرية واستخدام المنتجات المستوردة. وفي الوقت ذاته، شهدت الحركة التجارية مع القارة الأوروبية نمواً ملحوظاً، ما أدى إلى ازدهار الأسواق وفتح مجالات جديدة في قطاعَي التجارة والصناعة. ومع هذه التطورات المتسارعة، برز تحدٍ جوهري يتمثل في الحفاظ على الهويّة الوطنية الفلسطينية في خضم تزايد التأثيرات الثقافية الوافدة من أوروبا.

تشير الكاتبة إلى أنّ حياة المرأة في تلك الحقبة كانت محكومة بإطار صارم من التقاليد والأعراف التي فرضت عليها حدوداً واضحة المعالم. وقد تباينت أدوار النساء وفرصهن بين البيئتين الريفية والحضرية. ففي المناطق الريفية، كانت النساء يعملن في الزراعة وتدبير شؤون المنزل، ويشاركن في الأعمال اليومية التي تدعم أسرهن اقتصادياً. أما في المدن، وخاصة بين العائلات الميسورة، فقد بدأن في الحصول على تعليم أفضل، بفضل المدارس التي أسّسها الأوروبيون، ما أتاح لهن فرصاً جديدة للتعلم والارتقاء الاجتماعي. ورغم هذا التقدّم في مجال التعليم لبعض الفتيات، إلا أنّ غالبية السيّدات، وخصوصاً في القرى، بقين غير متعلمات يمارسن أدواراً تقليدية في رعاية الأطفال وإدارة المنزل. كان المجتمع يتوقّع من المرأة أن تكون متواضعة ومطيعة لزوجها، الذي كان يضطلع بدور محوري في تحديد مكانتها الاجتماعية. أما من الناحية الدينية، فقد اتسمت مشاركة النساء في الطقوس والشعائر بمحدودية نسبية في الفضاءات العامة، فغالباً ما كنّ يؤدين الصلاة في منازلهن، في حين كانت المساجد مُخصّصة بشكل أكبر للرجال. تعترف الكاتبة أنّ فلسطين آنذاك كانت تشهد تحوّلات مهمة، إذ بدأت الروح الوطنية الفلسطينية الصاعدة في مواجهة الحركة الصهيونية المتنامية. بعد إعلان الدستور التركي في عام 1908، بدأ شعور بالاستقلال والتحرّر ينمو بين سكان فلسطين، وظهر توجه قوي نحو الاعتماد على الذات في مجالات التعليم والصحة، ما أدى إلى إنشاء مؤسسات تعليمية فلسطينية جديدة، إضافة إلى الاهتمام بمسألة الحفاظ على الهويّة الوطنية والتراث الثقافي. توضّح آدا غودريتش فريير بأنّ اليهود استغلوا هذا التحوّل السياسي لمصلحتهم واستطاعوا تبنّي «الوطنية التركية» لتحقيق مصالحهم الخاصة. وقد حصل عدد من المهاجرين اليهود، وخصوصاً من روسيا، على الجنسية التركية، بينما ارتدى آخرون الطربوش، وهو رمز للمواطنة التركية، ما مكّنهم من التقدُّم في تحقيق أهدافهم في فلسطين تحت مظهر وطني.

الكتاب غنيّ جدّاً بالصور الفوتوغرافية التي توثّق الحياة اليومية العربية

الكتاب غنيّ جدّاً بالصور الفوتوغرافية التي توثّق الحياة اليومية للعربي على أرض فلسطين وتدحض الأكاذيب الصهيونية حول أنّ فلسطين كانت غير مأهولة وأشبه بصحراء قاحلة قبل قدوم العصابات المجرمة إليها. على العكس، تُمعن الكاتبة في وصف المستشفيات والمدارس والمعاهد والمنازل القديمة والحديثة ومعمارها العربي الأصيل والكنائس والمساجد التي وُضعت أول أحجارها على أرض فلسطين قبل قرون من وصول الصهاينة. إنها شهادة أوروبية بامتياز على عروبة فلسطين... بلاد كانت تخطو نحو نهضة واعدة، لولا أن اغتالتها يد النكبة الغادرة.

لمحات

عاطف سليمان

«بابٌ مُغلَق ونافذةٌ مُغلَقة، والظلام يحيق، أكثر ما يحيق، ببابٍ مغلق ونافذةٍ مغلقة لكأنه يحجبهما بطلسم. يعرفُ جلالُ الدين عتمةَ هذا البيت، وسيرى في العتمة حوافَ السور وقد تخرَّبت، ويرى خشبَ الباب الذي تقوَّس وتشقَّق وعلِقت به لُطعُ رمادية منفوشة، ولا بد أنه سيهدأ لحظةً لتمرير لغطٍ اندفق من قلبه وهَدَرَ في أذنيْه قبل أن يدفع بكتفه البابَ ويفتحه، وتَتَرشرش على رأسه وكتفيْه الأتربةُ الناعمة المتكوِّمة على عوارض المدخل... في تلك الظلمة، مشى جلالُ الدين، تخايله ذكرياتٌ، وتحت حذائه تطقطق أغصانٌ يابسةٌ وتندفنُ، كأنها عظام عصافير». صدر للكاتب والطبيب المصري عاطف سليمان كتابه القصصي الجديد بعنوان «أعراف البهجة» عن «منشورات تكوين» في الكويت. يضمُّ الكتاب ست قصص وهي: «صيحة يعول عليها»، و«قوس قزح منتصف الليل»، و«الحيّز الذي يشغل»، و«مأدبة عشاء معادة»، و«حين زرت الحدائق»، و«سوسن». تتراسل بعض قصص الكتاب الجديد خفية مع أسلاف لها من كتب سابقة لسليمان مثل قصص كتاب «صحراء على حدة» (1995) وكذلك مع بعض من قصص «على هيأة اللوتس» (2004)

عصام نجيب الفقهاء

يقدم الكاتب والأكاديمي الأردني عصام نجيب الفقهاء في كتابه «سيكولوجية المقاومة» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) تحليلاً معمقاً وتأسيساً نقدياً لظاهرة المقاومة الفلسطينية خلال الفترة الممتدة بين عامَي 1964 و 2024. عبر هذا العمل الريادي، يهدف المؤلف إلى تحفيز يقظة الوعي بإيقاعات المقاومة الفلسطينية وثقافتها، ودراسة أسس بناء قاعدة ثقافية مواتية لمقاومة فلسطينية فاعلة ومحصّنة في وجه الثقافة الغازية. يتكون الكتاب من ثمانية فصول تتناول مواضيع متنوعة وعميقة، بدءاً من دراسة المقاومة والخطاب المقاوم من منظور علم النفس الثقافي، مروراً بتأصيل فلسفة المقاومة وسيكولوجيا خداع الذات، وصولاً إلى تحليل الانتفاضة الفلسطينية وجدلية نجاحها وتعثّرها. كما يتطرق الكتاب إلى موضوعات حيوية مثل الهوية الثقافية المتطورة كأساس للمقاومة الفاعلة، وتجليّات المقاومة الفلسطينية، وحوكمتها في ظل فصام الخطاب السياسي المقاوم. يسعى المؤلّف إلى تقديم رؤية نقدية وتحليلية لهذه الظاهرة المعقدة، داعياً إلى صياغة برنامج تربية أمنية مناسبة لرفع مستوى الوعي الشعبي بالمقاومة بكل أشكالها، وإستراتيجيات حوكمتها، ومعادلات ضمان نجاحها.

عبد العزيز الصقعبي

تدور رواية «بركات العالق في الخيال» (دار الساقي) للكاتب السعودي عبد العزيز الصقعبي حول شخصية بركات، الذي يجد نفسه عالقاً في وضع غريب وخيالي يتحدى كل ما هو مألوف. بينما يتقدم لوظيفة عادية في شركة ما، يُفاجأ بركات بنفسه فجأة مديراً عاماً لها، من دون أي مقدمات أو تفسير منطقي. هذا التحول المفاجئ يضعه في موقف فريد، إذ يجد نفسه يعيش حياتين متوازيتين: الأولى كموظف عادي من الطبقة المتوسطة، يكافح لتلبية احتياجاته اليومية، والثانية كمدير ثري يتمتع برفاهية ودلال لم يحلم بهما من قبل، محاطاً بالترف والسلطة. تزداد الأمور تعقيداً وجنوناً مع ظهور شخصية ثالثة لبركات، تعيش في ظروف متواضعة مختلفة تماماً عن الشخصيتين الأساسيتين. هذه الشخصية الثالثة تضيف بُعداً جديداً لحيرة بركات وتساؤلاته حول هويته الحقيقية. يجد نفسه في دوامة من التساؤلات والشكوك، محاولاً فهم ما يحدث له وكيف يمكن لشخص واحد أن يعيش ثلاث حيوات مختلفة في آن. في هذه القصة الخيالية التي تشبه السحر، يستكشف الصقعبي مواضيع عميقة ومعقّدة مثل الهوية والطبقات الاجتماعية والواقع المُتعدّد.

هيا صالح

تروي الكاتبة الأردنية هيا صالح في روايتها «لون آخر للغروب» (دار الآن ـ ناشرون وموزعون) حكايتين متقاطعتين بأسلوب كافكاوي. تدور الحكاية الأولى في الرواية حول وفاء، المرأة التي تبدأ باكتشاف ذاتها متأخراً، فتقع في حب عازفٍ هارب من الحرب، وتعيش بسبب ذلك حالة من الارتباك النفسي، بين أن تختار أسرتها التي بنتها عبر سنوات ووفرت لها الأمن والاستقرار، وبين اختيار الرجل الذي أحبته، والذي لا يمكن أن يقدم لها حياة مستقرة. وهي في خضم هذه الهواجس تسائل نفسها أولاً، وواقعها ثانياً، حول مدى مسؤولية كلّ منهما عمّا يُخطّطه القدر ويفرضه كواقع للعيش. أما القسم الثاني من الرواية، فيروي حكاية نجيب، الكاتب الذي يكتب للآخرين في مقابل أجر مالي يحصل عليه. تسير حياة نجيب بهدوء وعادية إلى أن تعصف به الأحداث، ويجد نفسه مريضاً بالقلب، وحين يتم زرع قلب جديد له تتغيّر حياته بشكل عجائبي، فيقرّر أن يكتب رواية تخصه وتحمل اسمه. لكنه حين يهمّ بفعل ذلك، يجد نفسه واقعاً في غرام بطلته وفاء، التي تتجلّى صورتها أمامه كما لو أنّها من لحم ودم.

نزار عبد الساتر

يستكشف الكاتب العراقي نزار عبد الساتر في روايته الجديدة «فورور» (دار هاشيت/نوفل) رحلة طفل يدعى صابر في بحثه عن رائحة أمه. يتتبع صابر أثر والدته عبر معطف فرو لامس كتفيها ذات مرة، لينتقل بعدها بين أوساط المشاهير والأثرياء. يتحوّل هذا المعطف إلى محور لسرد قصة والدة صابر، بدءاً من كباريه «مولان روج» في بغداد، مروراً بمصر، وانتهاءً بلبنان. تتنقل أحداث الرواية في حقبة زمنية رومانسية، إذ يظهر المعطف على كتفي مريم فخر الدين أثناء تصويرها أغنية «بتلوموني ليه» لعبد الحليم حافظ في فيلم «حكاية حب». تزخر الرواية بشخصيات بارزة مثل فيلمون وهبي وفريد الأطرش وفرح ديبا، وتستعرض عالم المزادات الشهيرة مثل كريستيز، وكواليس تجارة الفن، ودنيا المال والحياة المخملية. تُقدّم رواية «فورور» رؤية متخيلة لما كان يمكن أن يحدث، مزج فيها عبد الساتر بين الواقع والخيال، ليرسم صورة متقنة لحقبة زمنية ساحرة، يتخللها حب جارف في زمن باهر يستحق أن يُروى.

أوس حسن

يُقدِّم الباحث العراقي أوس حسن في كتابه «الكينونة والمعنى» («مؤسسة مؤمنون بلا حدود») قراءة معاصرة للفلسفة الوجودية تُركِّز على مفاهيم جوهرية تتعلق بالوجود الإنساني مثل اليأس والقلق والتمرُّد والعلاج بواسطة المعنى. يستعرض الكتاب تطور الفكر الوجودي عبر تحليل أعمال وأفكار أبرز الفلاسفة الوجوديين مثل كيركيغارد، هايدغر ، ألبير كامو ونيتشه. يعرض الكاتب مفهوم اليأس عند كيركيغارد باعتباره غير ناتج من العالم الخارجي، بل خطوة نحو الإيمان والتحرُّر من القيود العقلية والمنطقية. ثم يناقش فلسفة هايدغر الذي يعتبر أنّ القلق هو الكاشف الأصيل للإنسان، إذ يضعه في مواجهة مع العدم ونهاية الحياة. يتطرق الباحث أيضاً إلى فلسفة كامو الذي يرفض عبثية الوجود ويتحدى فكرة اللاجدوى محاولاً إضفاء معنى ذاتي على هذا الوجود الفارغ. يتناول الكتاب «العلاج بالمعنى» عند فيكتور فرانكل الذي يطرح فكرة أنّ الإنسان يجب أن يواجه معاناته الوجودية عبر إيجاد معني شخصي لحياته. يختتم أوس حسن الكتاب برؤية نقدية تُعبِّر عن تلاقح الأفكار الفلسفية حول العدم والمعنى مع تسليط الضوء على كيفية استقبال هذه المفاهيم في عالمنا المعاصر.

مقالات

رامي الأمين مستنطقاً تماثيل بيروت

فاطما خضر

«لا شيء يقدر على الترميز إلى نهاية حقبات تاريخيّة وبداية أُخرى، أكثر من التماثيل والنُّصب التذكاريّة». تُمثّل هذه العبارة الواردة في كتاب «الباكيَتان - سيرة تمثال» (دار النهضة العربيّة ـ 2024) للكاتب والصَّحافيّ اللبنانيّ رامي الأمين، مُلخّصاً مُكثّفاً عن كتاب يروي تاريخ تمثال حافلاً بالانقطاعات، والفترات الزمنيّة المرافقة لهذه الانقطاعات. يكاد الكتاب يكون أشبه بمقالات تجميعيّة للكاتب، تندرج تحت 11 عنواناً، غالباً ما تفصل بين المقال والآخر صورةٌ واقعيّةٌ لرموز تحدّث عنها الكتاب وتغيّراتها عبر عقود عدة، أهمّها «الباكيَتان»، و«ساحة الشهداء».

يستهل الأمين كتابه بعنوان «توطئة ـ التماثيل على أشكالها تقع»، ويتحدّث هُنا بشكل أساسي عن علاقة التماثيل بالمدة الزمنيّة التي تشهد تنصيبها، والمدة التي تشهد إزالتها أو أحياناً تحطيمها، فالتماثيل لها دلالاتها السياسيّة، ورمزيتها الاجتماعيّة، وهي ليست كما تبدو صامتة، بل تحكي قصّة وتشهد على تاريخ مرّ في مكانٍ ما. يستعرض أمثلة متنوعة، موضّحاً دلالتها، ومُفسراً سبب إزالتها، مثل: تمثال الزعيم الشيوعي فلاديمير لينين، تماثيل جمال عبد الناصر المنتشرة خلال فترة هيمنة الناصريّة، وعدد من التماثيل في لبنان، ومنها تمثال القائد السابق لجيش لبنان الجنوبي، الذي انشقّ عن الجيش وعمل تحت إمرة الجيش الإسرائيلي، فحطّم قاعدته عناصر من «حركة أمل» بعد تحرير جنوب لبنان (أيار/2000)، حيث ربطوه بسيّارة، وجرّوه في شوارع القرى الجنوبيّة.

ثمّ ينتقل إلى عنوان «في البدء كان الفراغ». والفراغ هُنا كناية عن فراغ يوميّ يلتحف ساحة الشهداء وسط بيروت. يُقارن الأمين بين مشهد الساحة المزروعة بأشجار النخيل، والنابضة بالحياة منذ الثلاثينيات وحتّى منتصف السبعينيات؛ ومشهدها الصامت في فترة 2005 وما تلاها حيث اختفت الأشجار، مُستنداً في مقارنته إلى صور قديمة للساحة ومشاهداته الحاليّة لها. تتضمّن المقارنة أيضاً ذكراً لتمثال الشهداء الأساسي «الباكيَتان»، وتمثال الشهداء الحاليّ، والتبدلات التي شهدتها الساحة بين حرب وأُخرى، وما بينهما من إعادة إعمار.

نتعرّف في الجزأين الثالث والرابع بشكل أدق إلى تمثال «الباكيَتان» (1930) ودلالته العميقة، الذي نحته وسمّاه النّحات اللبنانيّ يوسف الحويّك، بعدما كلّفته سلطات الانتداب الفرنسي بنحت نصب تذكاريّ إحياءً لذكرى مقاومي الحكم العثماني، الذين أُعدموا في ساحة المدافع (6 أيّار/1910 - بيروت). هكذا، نُصّب في الساحة ومنحها اسمه «ساحة الشهداء»، ليكون بذلك للتمثال اسمان، والذي يُجسّد أسى امرأتين تجلسان مُتقابلتين، في رمزيّة لاستشهاد ولديهما، إحداهما مُسلمة والثّانية مسيحيّة، يداهُما ممدودتان إلى جرّة تحفظ رماد الموتى، كدلالة على تاريخ لبنان الفينيقي حين كان إحراق الجثة ممارسةً شائعة. تعرّض تصوير التمثال لأسى الأمهات، مع دلالاته الضمنية للهزيمة، إلى انتقادات شديدة أدّت إلى تظاهرات متكرّرة تُطالب بإزالته، وصلت في النهاية إلى مهاجمته بمطرقة من قبل سامي سليم محاولاً تحطيمه عام 1948. واستجابت بلدية بيروت لهذه المطالب، فأزالته من السّاحة في عام 1953، واستُبدل به نصبٌ جديدٌ للنّحات الإيطالي مارينو مازكوراتي، حمل دلالات صريحة عن البطولة والنّصر (1960).

يغوص الأمين في الجزء الخامس بشكل أعمق في تاريخ ساحة الشهداء، ومكانتها في تاريخ بيروت والبيروتيين سواء المسلمين أم المسيحيين، والحارات، والأحياء، والمقاهي، والمشاهد السياسيّة التي توالت عليها، والملامح الاجتماعيّة التي ميّزتها، منذ فترة الانتداب (1930)، وصولاً إلى الحرب الأهليّة (1975)، وما تلاها من حروب حتّى 1990؛ مُعتمداً على عدد من المراجع والاستشهادات الدقيقة: «كانت مكاناً يغلي عند كلّ حدث تاريخي، ولم يكن هذا الغليان ليخلو من فقاعات طائفية...». وينبع هذا التعمّق في تاريخها من نيّة الأمين ـ الذي تمحورت رسالته للماجستير حول «ساحة البرج» ـ بالبدء في رحلة بحث عن سامي سليم، نقرأ تفاصيلها في الجزأين: السادس الذي يغلب عليه التشويق والبحث وسط معلومات شحيحة عن رجل كلّ ما بقي منه أثر مطرقته على أنف الباكية المسيحيّة؛ والعاشر الذي يقدّم فيه تفسيرات عن سبب بحثه عن رجل اختفت سيرته، ولم يبقَ منها سوى أثر مطرقته وتُهمة اتّفق عليها كُثر، وأشاعتها بعض الصُّحف: «كان مجنوناً»، لتَتكشّف الحقيقة عندما نقرأ تفاصيل الرحلة التي بدأت من أرشيف الصُّحف ومكتبة الجامعة اليسوعيّة، وانتهت في قرية «جباع» في منطقة الشُّوف. هنا نتعرّف إلى مثقّف أسّس مجلة «الذكرى» وجريدة «صدى الساحل» ثُمّ «منبر العرب»، ومناضل رافض لجميع أنواع الاستعمار بما فيها الثقافي، والذي تجلّى في رمزيّة ودلالات «الباكيَتان».

يشرح الأمين في الجزء السابع عن مفهوم الساحات العامّة، وأهميتها في تاريخ المدن وأُناسها، وكلّ من ملامح الحياة الاجتماعيّة والدينيّة والسياسيّة وحتّى التجاريّة التي ترسمها، ثمّ يُخصص حديثه عن «ساحة البرج» وسبب تسميتها التي مرّت بتغيرات عدة: «ساحة الاتّحاد»، «ساحة الحرية»، ليصبح في لحظة من الزمن «ساحة الشهداء»؛ إضافة إلى تاريخها وجغرافيتها ومعالمها التي كانت تتغيّر مع تغيّر السنوات والسياسات والأسماء والظروف، بدءاً من عام 1632 أيّام فخر الدين الثاني، ثُمّ عام 1888 حين أصبحت مركز ولاية عثمانية، وصولاً إلى التمثالين اللذين نُصّبا فيها على التوالي، وانتهاءً بشرارة الحرب الأهليّة. ويتعمّق أكثر في هذه المعالم في الجزء الثامن، فيحدّثنا تحديداً عن سكّة الترامواي التي تبعد أمتاراً عن الساحة وأهميّتها كعقدة مواصلات قبل هدم السّراي الصغير وبعده، وعن أهميّة الترامواي في تلك المدة، وصولاً إلى لحظة إزالته في عام 1964.

سيرة ميدان يشهد على تاريخ مدينة مع صور توضيحيّة تُساعد القارئ

وفي الجزء التاسع، يُفسّر الأمين كلّاً من فِعل سامي سليم، واحتجاجات الناس، ثمّ الاستجابة لها بإزالة «الباكيَتان»، مُستنداً إلى البيان الشهير المشترك للمعماريّ خوسيه سيرت، والرسّام فيرنان ليجير، والباحث سيغفريد غيديون. ويُعزّز تفسيره بشرح مُفصّل عبر مثال آخر، مُستنداً إلى كتاب كنعان مكيّة عن «قوس النصر» في بغداد وصدّام حُسين. ينتقل بالسرد إلى سيرة التمثال الحالي، حيث سيتضّح للقارئ أنّه عانى أيضاً من سلسلة انقطاعات وتنصيبات؛ ما يُعلّل حساسيّة ساحة الشّهداء للرمزيّة التي سعت عبر عقود إلى الحفاظ عليها.

ينتهي الكتاب مع قَسَم جبران تويني ـ الذي يرى فيه الأمين ترجمة لتمثال الحويّك ـ في ساحة الشهداء، التي كانت شاهداً على أكثر من استعمار وأكثر من نصر، ولتبقى بعد التغيّرات التي شهدتها عبر الزمن رمزاً لا مسيحيّاً (كاتدرائيّة مار جرجس المارونيّة) ولا إسلاميّاً (مسجد محمد الأمين)، بل لبنانيّاً يتبرّأ من كلّ النزاعات الطائفيّة التي شهدتها.

«الباكيَتان» كتابٌ يستند إلى مجموعة مراجع ما بين كتب ومقالات صحافيّة منشورة، ليحكي فيه الأمين عن سيرة تمثال حافلة بالانقطاعات، وميدان يشهد على تاريخ مدينة، مُعتمداً على صور توضيحيّة تُساعد القارئ ـ الذي لم يحظَ برؤية التمثال واقعيّاً ـ على رؤية هذه السيرة وليس قراءتها فقط.

رواية

سام سافاج: بارداً كان العالم، جميلةً كانت الكلمات

ساري موسى

بالنسبة إلى مُحِبِّ القراءة، ثمَّة سحرٌ في كلِّ ما يتعلَّق بالكتاب: سحرٌ ينبعث من واجهة المكتبة إلى الخارج، وسحرٌ في جوِّها الداخليّ بألوانه وأضوائه وروائحه. سحرٌ في القراءة كفعلٍ مُحرِّر من الواقع الثقيل الذي لا يجد القارئ لنفسه مكاناً فيه. وسحرٌ في الكتب، تلك النوافذ المفتوحة على عوالمَ لا نهائيَّةٍ وغير محدودةِ الغنى والجمال. وبالتالي، فإنَّ قراءة روايةٍ عن القراءة، تجري أحداثها في فضاء المكتبة، لَهو تكثيفٌ للسحر والمتعة، وعامل جذب لشريحةٍ واسعةٍ من القراء. حتى إنَّهُ لفرط روعته، يصير كأنَّه استراحةٌ من القراءة بالقراءة ذاتها.

في هذه الفئة من الكتب، يمكن إدراج رواية «مغامرات قارض كتب» للكاتب الأميركي سام سافاج (1940-2019)، الصادرة بنسختها العربية عن «دار مسكيلياني» بترجمة أشرف القرقني.

الجرذ الأشعث جاحظ العينين المنكبُّ على كتاب سميكٍ في وسط الغلاف، يعطينا فكرةً عن بطل هذه الرواية، قبل أن تتكفَّل الصفحات بذلك. قارض الكتب في عنوان الترجمة العربية ليس استعارةً لقارئٍ بشريٍّ نَهِم، وإن كان يصحُّ بالطبع إسقاطه على حالة البشريِّ، لكنَّ سافاج اختار أن يتناول في روايته الحالة الأصلية، ليراقب الحالة البشريَّة من خارجها، وهو ما يمكن فهمه من العنوان الأصلي للرواية باللغة الإنكليزية: «فيرمين: مغامرات حقيرٍ حَضَريّ».

بطلُ الرواية هو الجرذ فيرمين إذاً، وهو المولود الثالث عشر من بطن أنثى الجرذ ذات الاثني عشر ثدياً. وقد أدَّى صغر حجمه وهزال بنيته إلى استبعاده من حفلة الرضاعة التي كان يندفع إليها إخوته بعد عودة أمهم من جولة تسكُّعها الليليَّة على حاويات القمامة، حيث تملأ بطنها بما تجده فيها، كما أنَّها كانت تعود في بعض الليالي مترنِّحةً ومتعثِّرة الخطى، بعد أن تكون قد لحست الكحول الذي أراقه السكارى على أرصفة الحانات. ومن أجل إطفاء الجوع المتأجِّج في معدته، راح فيرمين يمصُّ ويمضغ ورق الكتب الرطب، المتوافر بكثرة في قبو المكتبة التي وُلِد فيها، الواقعة في ميدان سكولاي في مدينة بوسطن الأميركية. هكذا تذوَّق حلاوة الكلمات التي قاده الاستبعاد إليها، وأصبح قارئاً من نوعٍ خاصّ، غير قادرٍ على الفطام عنها طوالَ حياته.

تنشط قراءات فيرمين في الليل، بعد أن يحلَّ الهدوء نتيجة إغلاق المكتبة أبوابها وخروج إخوته وأمه للبحث عن طعامهم، فيصعد من القبو إلى الأعلى، ويبدأ يتجوَّل بين الرفوف مختاراً ما يعجبه من محتوياتها. تُحوِّل القراءات الغزيرة فيرمين إلى قارئ موسوعي، وإلى كائنٍ مراقِبٍ متأمِّلٍ، له نظرته الخاصَّة إلى الحياة وفلسفته الخاصَّة فيها. من ذلك مثلاً تأمُّلاته في حال صاحب المكتبة، وبعض أصدقائه وزبائنه، الذين يُشرف عليهم من فوق عوارض السقف، حيث يعتبر «أنّ المرء إذا كان وحيداً، فإنّه يحتاج إلى أن يكون مجنوناً بعض الشيء، شريطة ألا يبالغ في ذلك»، وكذلك تأمّلاته في شكل العالم الذي ابتعد عن صخبه، وترفّع عن الانخراط في زواريبه وطرقاته، والذي يجده «يسير على النحو الآتي: الكلب يأكل الكلب، ولينجُ كلٌّ برأسه. كلُّ شيءٍ هناك محكومٌ بأن يُلحِق بنا أذى مميتاً».

لا يطول الوقت أمام فيرمين قبل أن يكتشف صاحب المكتبة أمره، خاصَّة مع الحريَّة التي أحسَّ بها وبدأ يتحرَّك بموجبها في المكتبة. لكنَّ محاولة القتل التي استهدفه بها لم تنجح سوى في جعله يُغيِّر مكان إقامته. وفي مقابل البشريِّ الذي لم يفهمه لكونه لا يشبهه، مع أنَّه يعمل بائع كتب، هناك البشريُّ الذي فهمه لأنَّه يشبهه، والذي أنقذ حياته واعتنى به. هنا الحديث عن شاعرٍ وكاتبٍ بوهيميّ، كان زبوناً للمكتبة لكنَّه قَليل الشراء منها، إذ يُفضِّل الكتب الرخيصة المستعملة. يُقيم هذا الرجل غريب الأطوار في البناية ذاتها، وفي مكان إقامته ثمَّة كتبٌ أيضاً، لكنَّها قليلةٌ ومن نوعٍ مختلفٍ عمَّا اعتاد فيرمين قراءتهُ. الحالة الحيوانية . البشريَّة الموجودة في الرواية نجدها معكوسةً في الغرفة الضيقة والوسخة، الشبيهة بالوكر، التي يستأجرها الكاتب البوهيمي، والذي لا يستطيع فيرمين تحمُّل الحياة معه فيها، رغم أنَّه يُخرجه معه على متن درَّاجته الهوائيَّة، في جولاته اليوميَّة عبر المدينة التي قليلاً ما رآها، لبيع نسخٍ موقَّعةٍ من كتبه.

الجرذ الأشعث في وسط الغلاف، يعطينا فكرةً عن البطل

«إذا كان هناك شيءٌ واحدٌ يُفيد التكوين الأدبيُّ في تنميته، فهو الإحساس بالنهاية». يستفيد فيرمين من هذه الخبرة التي حصَّلها، ومن حالته الفيزيولوجيَّة كجرذ، فيختار أن تكون نهاية حياته في الحيِّ الذي قرَّرت السلطات هدمه وتشييد حيٍّ حديثٍ مكانه، بل بين أنقاض وكتب المكتبة التي وُلِد فيها، حيث يمكنه تلخيص الحياة التي عاشها بالقول: «جافاً وبارداً كان العالم، وجميلةً كانت الكلمات».

أوراق

أدريان ريتش

لا أحتاج أنْ أكون يهودية

محمَّد مظلوم*

عاشت الشاعرة الأميركية أدريان ريتش (1929 – 2012)، تجربة المأزق المزدوج في هويتها الذاتية الجندرية وهويتها الجماعية اليهودية. وعبر هذه التجربة، الثرية والجريئة، تمكّنت من إعادة اكتشاف الذات ومراجعة التاريخ نقدياً وصولاً إلى الانشقاق. كما ارتبطت تجربتها ببُعد إنساني وأخلاقي تجلّى في موقفها السياسي المضاد لأميركا (الإدارة) وإدانتها لجرائمها وحروبها.
هنا القسم الأول المتعلق بمأزق الهوية المزدوج الذي عاشته، وموقفها إزاء اليهودية والصهيونية، وإسرائيل، وتضامنها مع مقاومة الشعب الفلسطيني.

تُعد ريتش رائدة للأدب النسوي في عصرها والشاعرة الأكثر تأثيراً في جيلها، وعندما توفيت عام 2012، كانت من أكثر الشعراء الأميركيين مكانةً. أما تأثيرها في الأدب النسوي الأميركي، فلا يقل شأناً عن تأثير فرجينيا وولف في بريطانيا وسيمون دو بوفوار في فرنسا، إذ تُعَد قصائدها وكتبها النقدية نصوصاً مركزية للحركة النسوية في موجتها الثانية.

ولدت ريتش في بالتيمور التي كانت مهداً لنزعة ما يسمّى «معاداة السامية» في أميركا أوائل القرن العشرين. بل إنّ والدها نفسه لم يخبرها بأنه يهودي، وحذّرها من مخالطة اليهود، ورباها تربية أمّها البروتستانتية. وفي مرحلة دراستها المبكرة، شجّعها على تقمّص دور «بورشيا» التي تتصدى للمرابي اليهودي «شايلوك» في مسرحية «تاجر البندقية» لشكسبير (وأي طفل لا ينفصل عن شايلوك وتستهويه بورشيا الأنثى مثلي).

لكن هذه التربية الأبوية التي تقوم على إنكار الهوية اليهودية دفعتها إلى التشكّك والتساؤل، وحفّزتها لإعادة اكتشاف جذورها بنفسها، فتمرَّدت على أسرتها وتزوجت «يهودياً حقيقياً» هو ألفريد كونراد، أستاذ الاقتصاد في «جامعة هارفارد» الذي انتحر عام 1970.

والواقع أنّ النزعة المتشكّكة لدى ريتش تظهر منذ مجموعتها الأولى «تغيير العالم» (1951)، إذ لفتت الانتباه بالأسئلة الشائكة والعميقة التي طرحتها مبكراً.

وبحلول الستينيات وأوائل السبعينيات، بدأت قصائدها تتخذ منحى مضمونياً جديداً مشحوناً بقيمها النسوية وقناعاتها اليسارية، واستكشاف عوالم الجنس والأمومة والسياسة، وتفكيك الأساطير، ولا سيما تلك المتعلّقة بهويتها اليهودية: يقدّم ديوانها «الغوص نحو الحطام» (1973) صورةً استعارية عن تلك الاستكشافات. ففي القصيدة التي تحمل عنوان الديوان، ثمة محاولة لاستعادة حقيقة مفقودة أو مخفية عن الذات، وإعادة فهم جماعة لم يجر تصويرها تاريخياً بصدق. وتركّز القصيدة على صوت المتكلم (وهو في الواقع صوت ريتش نفسها)، إذ تغوص عميقاً في مياه المحيط لتصل إلى بقايا حطام سفينة قديمة، وتشرع في استكشافها، بحثاً عن الحطام نفسه ورؤية الحقيقة كما هي، لا كما تصورها «الأساطير»:

«ما جئت أبحث عنه:
الحطام لا قصَّة الحطام
الشيء نفسه لا الأسطورة».

قبل ذلك، كانت ريتش قد زارت القدس عام 1966. وكتبت قصيدة استشرفت فيها حقيقة أنّ «الأرض الموعودة» ليست سوى ثكنة للحروب وأرض للموت والخراب:

«في حلمي، أرى أطفالاً
مكفنين بالدخان
وشعورهم الطويلة تحترق...
وأستيقظ باكية
وأنا أسمع صافرات الإنذار تصرخ
وشجرة الخروب عارية»

وهكذا، بدأت تتعمّق في مراجعة قضية الهولوكست نفسها، فتقتبس في قصيدتها «زمن الحرب الشرقية» من ديوانها «أطلس لعالم صعب» (1991) البرقية الشهيرة التي أرسلها غيرهارت ريغنر ممثل المؤتمر اليهودي العالمي في جنيف إلى مكتبي المؤتمر في نيويورك ولندن بشأن شائعات عن نية النازيين لإبادة اليهود في أوروبا وترحيلهم شرقاً، وهي أقدم وثيقة عن الهولوكوست. تذهب ريتش إلى تفسير «الحل النهائي» بالترحيل إلى الشرق وليس في «الإبادة». وإن قصة الهجرة إلى «الأرض الموعودة»، قديمة تعود إلى أوائل القرن العشرين ضحيتها نساء يهوديات مسكونات بالوهم:

«أُفكِّر في النساءِ اللاتي أبحرْنَ إلى فلسطين
قبل أنْ أولدَ بسنين
مُستوطِنات رائدات،
يؤمنَّ بحياةٍ جديدة
ينشدْنَ المساواة في الأرض الموعودة
وفي قلوبهنَّ وعودُ الصهيونية المكسورة
صانعات المعجزات اللاتي توقَعْنَ المعجزات
بعناد مثل أية ربة منزلٍ
لكن الحياة التي تمنحها حياتها
لن تكون رخيصة
الحياة التي تمنحها حياتها
ستحتاج إلى نهاية للمعاناة
و«صهيون» وحدها ليست وعداً كافياً».

ويمثل ديوانها «أرضك الأصليَّةُ حياتُك» خلاصة لقناعتها واكتشافها وهم الهجرة اليهودية إلى «أرض الميعاد»:

«حينُ يتضحُ كلُّ شيءٍ، ستحبُّ
المكانَ الذي أنت فيه:
حيثُ السماءُ الزرقاءُ بلا حكايةٍ أو نص
مريم، وهارون، وموسى
في مكانٍ آخر، يسيرون
فتعلَّم كيْفَ تعيشُ بلا أنبياء
ولا أساطير
أنْ تعيشَ حيثُ أنت».

في نثرها كما في شعرها، تحرّض ريتش على التمسك بالحلم الكبير بـ «تغيير العالم» ليصبح مكاناً أفضل لجميع البشر. وهي إذ ترسم صورة يوتوبية لعالم خالٍ من التمييز العرقي والطبقي، فإنها تدرك أنّ مثل هذا العالم قد لا يوجد قط، لكن ما يهم هو التمسك بالحلم والعمل على جعله ممكناً بالفكر والممارسة. وقد جسدت بالفعل، في كتابتها ومواقفها، تلك المحاولة لفهم العالم عبر الدعوة إلى «هوية» كوسموبوليتانية تتطلب خيالاً لخلق مكان آخر: مكان تنتقل فيه الذات من الهوية الأضيق متمثلة بالانتماء العائلي والعرقي والطائفي إلى الهوية الأوسع، متمثلة بالإنسانية بوصفها كياناً واحداً. لكنها ترى أنّ أكبر عقبة أمام هذا الانتقال تتمثل في الأصولية اليهودية «لأن اليهود في نظر اليهود أنفسهم لا ينتمون إلى أي فئة من الناس، بل يريدون جرّك إلى الوراء، والتماهي معهم يعني الانحدار إلى الهاوية، وإهدار فرص النجاح، وإلغاء الوجود الرمزي. فالتمسك بالشعور بالهوية اليهودية ينطوي على تمييز طبقي قوي وواضح. ومن هنا يمكن تفسير معاداة السامية بسبب السلوك السيّئ لبعض اليهود؛ وإن لم تنشقّ عن الأسرة والجماعة، فستجد دائماً من يدّعي القرابة معك، وهو من «النوع السيّئ» من اليهود».

ويزخر شعرها ونثرها بالتعبير عن هذا الانشقاق أو الانفصال الجذري:

«جُذُوري ليستْ قُيُودي»
«مُنفصلةٌ من الجذْرِ، مرفوعةٌ في قلعةٍ من الهواء؟»
«مُنفصلةٌ من جُذُوري، لستُ من الأغيارِ ولا من اليهود».

وقد جعلت العبارة الأخيرة عنواناً لمقالها «الانفصال من الجذور: مقال عن الهوية اليهودية» الذي أعادت فيه مراجعة تراثها اليهودي العائلي لتعبّر عن مشاعرها المناقضة للتراث اليهودي برمته. وتتساءل كيف يمكنها التوفيق بين التقاليد الأبوية لليهودية وبين قيمها النسوية؟ فهي وفقاً للشريعة اليهودية «التي تُعرِّف اليهودي بأنه من ولد لأم يهودية» لا تعدّ نفسها يهودية لأنَّ والدتها بروتستانتية. «فحتى وفقاً لنظرية النسوية، لا أستطيع -بل لا أحتاج-أن أصنف نفسي يهودية».

وتقتبس الجملة التي كتبتها فرجينيا وولف في كتابها النسوي المناهض للفاشية «ثلاثة جنيهات»: «بوصفي امرأة ليس لدي وطن. بوصفي امرأة لا أريد وطناً. بوصفي امرأة وطني هو العالم بأسره».

وفي محاضرة قدمتها في «جامعة كامبريدج» عام 2002، دعت اليهود إلى «طلب الغفران» لما اقترفوه ضد الشعب الفلسطيني: «بدأتُ بكتابة هذه المحاضرة في رأس السنة اليهودية، وفي السنة الثانية من انتفاضة الأقصى الفلسطينية. إن هذا التوقيت ودلالاته اليهودية يتيح فرصة للتأمل، والشعور بأنّه وقت الحساب حقاً. إنه مناسبة للاعتراف بالذات والآخرين، والاعتراف بانتهاكاتنا ضد الآخرين، وطلب المغفرة، وتغيير طرق وجودنا في العالم».

وخلال حرب غزة 2008-2009، كانت من أبرز الشخصيات التي دعمت الحملة الأميركية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل. ونشرت بياناً أوضحت فيه أنّ موقفها يأتي في سياق تضامنها المستمر مع المقاومة الطويلة للشعب الفلسطيني ولأن إسرائيل دولة عسكرية وقمعية، ولأن المؤسسات الأكاديمية، من حيث تمويلها وسلطتها وتوجهاتها، منخرطة بل متورطة في القوة الاقتصادية والعسكرية للدولة. وقد سارت وسائل الإعلام والمؤسسات والسياسة الرسمية الأميركية في ركابها.

وكان من المحتم أن تتهم ريتش بأنها معادية للسامية، فهي ليست أول من ألصقت به هذه التهمة النموذجية الجاهزة لإدانتها إسرائيل والصهيونية، وحتى اليهودية، فقبلها اتهم عزرا باوند بل وصم بالجنون لأنه أعلنَ بالأسماء والوثائق، أنّ الصيارفة اليهود، ونزعة الربا المتأصلة في نفوسهم من الأسباب غير المرئية لاندلاع الحربين العالميتين وما قبلها من حروب كبرى شهدتها أوروبا. ولا يزال عدد كبير من النخبة اليهودية من أكاديميين وكتّاب وفلاسفة وحاخامات يجاهرون بوصف إسرائيل دولة عنصرية، وكياناً غير شرعي كان تأسيسه خطأً بالأساس، ووجوده بحد ذاته تشويهاً لليهودية مثل عالم اللاهوت مارك إليس والحاخامين ديفيد فايس وبرانت روزن الذين يرون الصهاينة أسوأ من النازيين.

كتب ألفين روزنفيلد في كتابه «معاداة الصهيونية ومعاداة السامية» أنّ وجود مثل هذه الأصوات اليهودية داخل المعسكر المناهض للصهيونية يدحض الادعاءات التي تساوي بين معاداة الصهيونية ومعاداة السامية. فإذا كان هناك عدد كبير من المثقفين اليهود المعروفين أمثال جوديث باتلر، ونعوم تشومسكي، وريتشارد فالك، ونعومي كلاين، (على سبيل المثال لا الحصر) يعبّرون عن مواقف معادية للصهيونية، فمن يستطيع بعدها أن يزعم أنّ معاداة الصهيونية هي معاداة للسامية؟



* شاعر وكاتب عراقي